

# الباب الأول

أوصاف الناس في التواريخ والصلوات

القسم الأول





## اوصاف الناس في التواريخ والصلوات

( 71 . ب ) فمن ذلك (1) ما صدر عنى مما ثبت في كتاب :

### التاج المحلى ، في مساجلة القدرح المعلى (2)

#### 1 - جعفر ابن الزيات

علم الاعلام ، وخاتمة شيوخ الاسلام . تجرد للمعبادة في ريعان شبابه ، ولازم جناب الله وأكثر الوقوف ببابه . ولم تنزل الفتوحات القدسية تعرض عليه أذواقها ، والمحبة الربانية تصلح لديه أشواقها ، وتدبير لديه دهاقها ، حتى خلع لباس هذه البدنيات ونزع نطاقها ، وبث في أسباب هذه الاكوان ذوات الالوان ، وأزعم فراقها . فأصبح فردا تتشير اليه الابصار ، وتنال ببركته الاوطار ، وتحدى لرؤيته القطار .

1 اسم الاشارة يعود الى ما اشتمل عليه مؤلفه « الريحانة »  
2 هذا الكتاب لابن الخطيب عبارة عن مختصر لتاريخ مملكة فرناطة منذ تأسست على يد زعيم بنى نصر ( محمد الاول ابن الاحمر ) حتى عصر المؤلف ، بالاضافة الى تراجم لاعيانها المعاصرين له ، كما يترجم فيه ابن الخطيب لنفسه ولوالده . ويوجد جزء من « التاج المحلى » في المخطوط رقم 554 ( فهرست الغزيرى ) بالاسكوريال ، ويمثل هذا الجزء المخطوط 53 لوحة من 71 الى 132 . وفي الخزانة العامة بالرباط توجد طائفة من تراجم « التاج المحلى » بالمخطوط رقم 1102 ضمن آثار أخرى له يضمها المجموع الذى عنوانه « مجموع مراسلات وتراجم ابن الخطيب » .

اما « القدرح المعلى » فهو لابن سعيد الاندلسى ( ابن الحسن على بن موسى ) المتوفى عام 73 هـ وهو يتناول بالترجمة طائفة لا بأس بها من علماء وأدباء الاندلس الذين قضى جلهم خلال النصف الاول من القرن السابع الهجرى ، وقد نشر « القدرح المعلى » بعناية المحقق الاستاذ ابراهيم الابيارى بالقاهرة عام 1959 م .

ودعى الى السفارة في صلاح المسلمين ( 72 . أ ) فأجاب ، وسعى في اخماد الفتنة فانجلى ليلها وانجاب ، وأعمل في مرضاة الله — الاقتاب، وخص العباب .

وكان ببليش (3) بيلده منتجع رائد ، ومعدن غرائد . وفجر الله ينابيع البلاغة على لسانه ، وجعل زمام الفصاحة طوع لسانه . فدون بالنظم في شتى الفنون ، وجلى المعارف مفوفة المطارف للعيون . فكان يقعد بمسجدها الجامع فيدرس ويحلق ، ويهذب ويخلق . فيأتى من الاعراب بالاغراب . ويتكلم في التفسير بغير اليسير ، ويلمح من التعليل لا بالقليل . ويشير الى فريقه برموز طريفه .

ولما نادى به منادى فراقه ، وغيب الدهر نور اشراقه — بكت عليه الربوع دما ، وأصبح وجودها عدما .

وقد أثبت من آدابه وشعره « في التاج المحلى » (4) ما يدل بسعه صدره ، ويدل على قدره .

3] توجد ثلاث مسميات لثلاث مدن متوسطة بهذا الاسم ، أولاها — ولعلها التي ينصدها المؤلف — « بليش مالقة » الاسبانية Velez Malaga وموقعها غرب مالقة على مسافة 34 كم ، وقد أوردها ابن الخطيب في كتابه « معيار الاختيار » واصفا لها بعد وصفه « مالقة » والمدينة الثانية هي « بليش الشقراء » وتدعى في الاسبانية Velez Robio وموقعها قرب مدينة لورقة ، وقد وصفها المؤلف أيضا في « المعيار » .

اما الثالثة فتسمى « بليش البيضاء » وتعرف في الاسبانية Velez Blanco وهي قرب الثانية وقد تكون أحدث الثلاثة .  
4) هكذا سيكون مسلك ابن الخطيب لمن يترجم لهم جميعا بدءا من « جعفر ابن

الزيات » حتى نهاية الكتاب في الاحالة على كتابه « التاج المحلى » فيما يتصل بآثار المترجم لهم من نثر أو نظم أو خطب جادت بها قرائحهم ، ولهذا سنحاول — قدر الاستطاعة — ان نورد شيئا من هذه الآثار اقتباسا من « التاج » أو غيره لمن عنى بأمثال هؤلاء مترجما لهم .

ومن ذلك في وصف :

## 2 - أبى الحسن القيجاطى

( 72 . ب ) أخطب من سعد المنابر وارتقاها ، وأفصح من هذب  
العبارة وألقاها ، واستجادها وانتقاها . نجم ببلدية الشرق ، وتآلق في  
افقها تآلق البرق . ولم تزل رتبته في ارتفاع حتى استأثرت الحضرد (5)  
به على ما سواها ، فاحرز فيها الغاية وحواها ، ونشر معارف المطارف  
وما طواها . فنفق للادب سوقا ، بسقت فروعها بسوقا ، وقلد بحر  
العصر من عقود درا منسوقا .

ثم تقدم خطيبا بمسجدها الجامع ، فقرط بألفاظه الرائقة عاطلة  
المسامع ، وأسأل بمواعظه البالغة درر المدامع . وهو منجد الحلبة  
ومخرجها ، وموقد الاذهان وسرجها .

خبا - بوفاته للعلم - كوكبه الثاقب ، وووريت بمواراته المفاخر  
والمناقب . وله نظم تعطرت المجالس بجرياله ، وتعلقت المحاسن  
بأذياله . ونثر حسدت عقود الغانيات درره ، وغارت النجوم الزهر  
لما اجتلت غرره .

---

(5) الحضرة . العاصمة ، وهى يومئذ غرناطة النصرية ، نسبة الى بنى نصر  
المعروفين ببنى الاحمر ، حكموا مملكة غرناطة ما يربو على مائتين وخمسين  
عابا ( 635 - 897 هـ / 1238 - 1492 م ) ومؤسسها محمد ابن يوسف  
بن الاحمر ، وآخر ملوكها ابو عبد الله محمد على بن سعد بن محمد بن يوسف  
النصرى .

انظر : تحقيقنا «كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان» ، لابن الخطيب ص : 16 -  
24 ( القاهرة 1966 م ) .

ومن ذلك في وصف :

### 3 - أبى اسحاق بن أبى العاص

حابق حلبة العلم والدين ، والمستولى على قصب السبق في تلك  
الميادين . أنت طريف (6) منه بطرفة رائقة ، وأغرب منه هذا المغرب  
بروض تحسد الرياض حدائقه . ورد على هالتها أبرارا . وانتظم - لأول  
حلولة - في طبقة الكتاب والعود قشيب ، وفود الوقت لم يرعه للمقت

(6) طريف - Tarifa مدينة اندلسية تقع على لسان يمتد في البحر الأبيض  
المتوسط من الناحية الجنوبية الغربية لاسبانيا في مواجهة مدينة الجزيرة  
الخضراء Algeciras التي تقع في الجهة الشرقية ، وبين المدينتين هضاب  
وسهول تفصلها بعض الودية الصغرى . وتعتبر طريف أول بقعة لتدلسية حل  
بها العرب منذ أن تطلعت انظارهم الى فتح شبه الجزيرة الايبيرية ، فقد حدث  
خلال عام 91 هـ ( 710 م ) ان جازت البحر من سبته حملة اسلامية صغيرة  
توامها 400 محارب كبعثة كشف واختبار ارسلها من المغرب موسى بن نصير  
بقيادة احد مواليه من البربر ، واسمه طريف بن مالك ، فنزل هذا القاعد الرسول  
برجاله في المنطقة المقابلة لمدينة سبته المغربية من جهة الغرب ومنذ ذلك  
الحين والمنطقة تعرف باسم قائد هذه البعثة العسكرية .

وطريف كمدينة اندلسية لها تاريخها التليد من حيث موقعها البحري الهام ، ذلك  
الذي اهلها لان تكون اiban العصر الاسلامى محطا « استراتيجيا » هاما لتزول  
المغاربة المحاربين ، شأنها في هذا شأن جبل طارق والجزيرة الخضراء ، وقد  
ليثت هكذا مدينة حربية حتى سقطت في ايدي الاسبان في المعركة الشهيرة  
« معركة طريف الكبرى » La Batalla del Salado التي هزم فيها الاتلسيون  
والمغاربة ( جهادى الاخرة 741 هـ = 30 اكتوبر 1340 م ) .

من آثار طريف الاندلسية بقايا ضئيلة متفرقة من السور القديم ، كالجزء الذى  
يمتد الى اليسار من باب شريش وبه عدة كوى صغيرة ، وجزء آخر موقعه  
تجاه الحصن العربى ، وجزء ثالث من السور يلاصق منتره المدينة . لما الحصن  
نيغلب على الظن أنه من بقايا القصبه العربية لمعقوده ذات الطراز العربى ،  
وهو يشرف على البحر من الناحية الخلفية للمدينة .

راجع . السلوى في « الاستقصا » ج 3 . 136 وما بعدها ، ورحلة الغزال  
الفاسى ، ص 16 ، والمقرئ في « النفع » ج 3 ص 96 وما بعدها .

مسيب . والربع أهل والوارد في الرفد ناهل . متميز بخصائصه الحسنى ،  
وتأهل للمحل الاسنى . وقعد للجملة بعد فقد صدرها ، وأفول بدرها ،  
وحلول شمسها في رمسها .

وخلف أستاذها ابن الزبير خير خلف ، وأصبحت لشانه من أنشد  
فيه « انما الدنيا أبو دلف » (7) وصعد المنبر فجلت الخطوب خطبه ،  
وهز منه الجزع فتساقطت رطبه . فأبكى العيون الجامدة ، واثار العزائم  
الخامدة . وأخذ بقلوب الدهماء فاستمالها ، وبلغ منهم الغاية التي أراد  
ونالها . وحمل نفسه بآخرة الى الجود ، والاتيان بالحاضر الموجود .  
( 73 : ب ) فكان للفقراء عالا ، وللمعتفين (8) قالا ، وللعصر وأهله زينا  
وجمالا .

وقضى لسبيله — رحمه الله — فقيدا أسال الغروب ، وهاج  
— للاشجان — الحروب .

وكان له أدب أنيق الشارة ، حسن الاشارة .

---

(7) هذه العبارة شطر من قصيدة للشاعر المعوك بن جبلة ، حيث يقول :

انما الدنيا أبو دلف بين مغزاه ومختصره  
فاذا ولى أبو دلف ولت الدنيا على اثره

وأبو دلف هذا هو القاسم بن عيسى بن ادريس العجلي ، أمير الكرخ ، وسيد  
قومه واحد الاجواد الشعراء ، كان من رجال الرشيد وابنه المأمون . وقد عقد  
له الكاتب ابن طيفور جزءا خاصا في كتابه ( بغداد في تاريخ الخلافة العباسية )  
عند حديثه عن المأمون ، توفي « أبو دلف » هذا عام 226 هـ .

(8) المعتفون . هم من يتعففون عن سؤال الناس رغم الحاجة ، وقد أشار اليهم  
القرآن الكريم في قوله تعالى « يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف » .

ومن ذلك في وصف :

#### 4 - أبى القاسم بن جزى (9)

مجتهد عاكف ، وروض فنون جاده من العلم كل واكف . أقام رسم مجده ، ورفع عمد بيته ، في قمة العلم ونجده ، فأصبح صدر بلده ، وأنجب خلفين كريمين من ولده . وفرغ للعلم من جميع أعماله ، وتفتيا رياض دواوينه عن يمينه وشماله ، واقتصر على طلب كماله ، مع وفور ضياعه ونمو ماله . فدون الكثير وصنف ، وقرط المسامع وشنف . وترقى الى الخطابة - وهى ما هى من جلال الرتبة ، وسمو الهضبة - ففرع سنامها ، ورفع أعلامها ، وغض شبيبتها ناضر ، وزمن فتائه حاضر . فوقع عليه الاتفاق ، وانعقد - على فضله - الاجماع والاحقاق .

ولم يزل يسلك طريق المجتهدين ، فدون في الفقه والدواوين . وسفر في علم اللسان عن وجه الاحسان . ورحل في علم التفسير الى كل طية ، وركض في أغراضه كل مطية ، حتى أنشأ الزمخشري (10) وابن عطية (11) .

وله - من الادب - حظ وافر ، ومذهب عن - الحسن - سافر .

---

(9) أحد شيوخ المؤلف لسان الدين ابن الخطيب ، وممن تتلمذ عليهم في ميدان الخطابة خاصة . وقد ترجم له الامير اسماعيل ابن الاحمر ، في « نثير فرائد الجمان » والمقرى في « النتح » وغيرهما .

انتظر « يوسف الاول ابن الاحمر » تأليف المحقق ، ص 60 ( القاهرة 1969 م ) .  
(10) هو الشيخ أبو القاسم محمود المعروف بالزمخشري ، نسبة الى احدى قرى خوارزم والمولود بها عام 1075 . وهو امام عصره في اللغة والنحو والبيان والتفسير ، كان معتزلى الاعتقاد ، من تأليفه « المفضل في النحو » و « الفائق في غريب الحديث » و « أساس البلاغة » وأخير « الكشاف عن حقائق التنزيل » وهو تفسيره الذى اشتهر فيه بأرائه الاعتزالية خاصة .

(11) سيفرد له المؤلف فيما بعد ترجمة مستقلة .

ومن ذلك في وصف :

## 5 — أبى البركات البليقى (1)

واحد الفئة ، وصدر صدور هذه المائة . ورجل الحقيقة وأبن

(1) هو قاضى الجماعة الشيخ محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خلف السلمى أبو البركات بن الحاج البليقى ، والنسبة الى « بليق » حصن بأحواز مدينة المرية جنوب شرق الاندلس . يتصل نسبه بحارثة بن العباس بن مرداس ، نشأ بالمرية منزويا ، متمبدا ، عبر البحر الابيض المتوسط الى بجاية ، حيث التقى بالعلماء من معاصريه ، فأخذ عنهم ، لا سيما استاذ العصر أبا على منصور بن أحمد بن عبد الحق المزالى ، ثم تحول الى مراكش ونواحيها ، ثم أتم فترة بسبتة ، وأخيرا عاد الى الاندلس ، فاشتغل بالتدريس والقضاء والخطابة بادىء الامر بمدينة مالقة أوائل عام 735 هـ ( سبتمبر 1334 — 20 أغسطس 1335 م ) ، ثم تولى القضاء في بلاد أخرى ، حتى نقل الى غرناطة قاضيا للجماعة في 23 شعبان عام 747 هـ ( 6 فبراير 1347 م ) ثم صرف عن القضاء بغرناطة حيث ارتحل الى المرية ، وتقلد نفس المهنة أوائل رجب 748 هـ ( أكتوبر 1347 م ) ثم أعيد الى العاصمة مرة أخرى في أواخر رجب 756 هـ ( أغسطس 1356 م ) ، وخلال هذه الفترة كثيرا ما انتدبه السلطان أبو الحجاج يوسف الاول سفيرا الى معاصريه من الملوك المسلمين ، ولابن الحاج مؤلفات عديدة ، ولكن معظمها غير تام أو غير منقح في مبيضات ، كما روى عن نفسه ، حيث جاء في « الاحاطة » قوله معللا ذلك : « وقد ذهب شرح الشباب ونشاطه ، وتقطعت أوصاله ووصل رباطه ، وأصبحت النفس تنظر في هذا كله بعين الإهمال والاغفال ، وقلّة المبالاة التي لا يصل بها أحد الى منازل الرجال . وهذه الاعمال لا ينشط اليها الا المحركات التي هي مقصودة عندي » وهكذا يمضى في سرد الدوافع المفتودة عنده لابرار مؤلفاته الى عالم الوجود ، ولعل الاحداث التي عاصرها وما لابسه منها قد أملت عليه هذا الاتجاه نحو السلبية . ولابن الحاج القوائد المطولة ، نظمها في أكثر من غرض ، وخاصة في الوعظ والارشاد ، كما أن له باعا في النثر . وقد استقر مقام هذا القاضى مؤخرا بمدينة المرية قاضيا بها وخطيبا ، حتى وافته منيته خلال شهر رمضان من عام 773 هـ ( ديسمبر 1372 — يناير 1373 م ) حيث دفن بنفس المدينة .  
راجع : « الاحاطة » ج 2 ص 102 — 106 ، و « تاريخ قضاة الاندلس » للنباهى ص 165 ثم « يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة » للدكتور شبانة ص 79 — 82 نشر . لجنة البيان العربى بالقاهرة 1969 م .

رجالها ، وعلم هذه الطريقة وفارس مجالها ، وتحفة الدهر التي يقل لها الكفاء ، وبقيّة السلف التي يقال عندها : « على آثار من ذهب العفاء » .

ما شئت من شرف زاحم الثريا بمناكبه ، ومجد خفقت بنود العلم فوق مواكبه . وحسب توارثه الكابر عن الكابر ، وأصالة تأملت أرواحها بين بطولة المحاريب وظهور المنابر ونشأة سحبت من العفاف ذبلا ، وغضت الطرف حتى عن الطيف ليلا . ومعرفة لا يساجل لجها ، ولا يراجع صباحها ونعمة في تلاوة القرآن ، يخزلها الناس على الاذقان .

ولما أمعن في المعارف كل الامعان ، و « منهومان — كما قال عليه السلام — لا يشبعان » تشوف الى الرحلة عن بلاده ، وزهد في طريفه وتلاده . فأخذ الحديث عن أهله ، وذهب من العلم في حزنه وسهله . وبلغ الغاية حتى رحل الى بجاية (2) وبها علم الدين وناصره (3) ، ( 74 ب ) وروض العلم الذي أخصب جانبه وخاصره ، ففاز بلقائه ، ونهل من سقائه ، وصرف فهمه الثاقب الى القائه . فحصل واستفاد ، واقتنى من كنوز رحلته ما لا يخاف عليه النقاد .

قدم على قدارة مجده ، قدوم النسيم الحجازي من نجده . فأشارت اليه الاحداق واشربت الى طلوعه الاعناق . ولم تزل بدائعه تتقلدها الصدور ، ومحاسنه تغار منها الشموس والبدور ، والسعادة توافيه ، والخطط الشرعية تتنافس فيه ، وخطبته الان خطابة قطره وهو كفوؤها وابن

(2) بجاية — بكسر الباء وتخفيف الجيم ، مدينة على ساحل البحر الابيض المتوسط بين افريقية والمغرب اخطها الناصر بن عنان بن حماد بن زيري بن مناد بن يلكين عام 457 هـ ( منتصف القرن الحادي عشر الميلادي ) وتسمى الناصرية ، نسبة الى مؤسسها . كانت ميناء هاماً للقوافل البحرية والتجارية وهي اليوم احدى المدن الجزائرية الساحلية المعروفة .

راجع : « كناسة الدكان ، بعد انتقال السكان » للوزير لسان الدين ابن الخطيب ، تحقيق د. شبانة ص 79 هامش 2 نشر دار الكاتب العربي بالقاهرة 1969 م .  
(3) يقصد به استاذ العصر ابا على منصور المشدالي ، والمشار اليه في التعليقات السابقة .

أكفائها ، ومحى رسومها بعد اغفائها ، فتلقى رايتها بيمينه ، واستحقها  
بسلفه وعلمه ودينه .

ومن ذلك في وصف :

## 6 - أبى جعفر ابن خميس

قريع صلاح وعبادة ، ورضيع شدى دين وسجادة . كان  
بالخضراء (4) بلده - رحمه الله - صدر صدورها ، وواسطة شذورها ،  
وخطيب حفلها ، وامام فرضها ونفلها وباشر حصارها ، وعانى - على  
العصور - اعصارها .

75 . أ ) وله دعاء مستجاب ، وخواطر ليس بينها وبين الحق  
حجاب . وبركة تظهر عليه سيماها ، وديانة لا تعرف الشبهات حماها .  
وبلاغة لا يشح ينبوعها ، وتقفز من المعانى ربوعها . يدعو الفقر (5)  
فيذعن عاصيها ، وينزل عصم المعانى من صياصيها .

وقضى - رحمه الله - فتغير ذلك القطر (6) لذهابه ، واظلم ذلك  
الافق لافول شهابه .

ومن ذلك في وصف :

## 7 - أبى زكريا ابن السراج

حامل فنون جمّة ، وصاحب نفس بمعادها مهتمة ، شمر في زمن  
الشبيبة عن ساقه ، واجتتى ثمرة العلم من بين أوراقه ، وجمع الكثير من

(4) هي « الجزيرة الخضراء » وتعرف اليوم في الاسبانية باسم ALGECIRAS

(5) فقر . بكسر فتح كعبر ، والمبرد . فقرة بفتح فسكون كمبرة .

(6) يعنى بالقطر . الاتدليس

مختلفاته على بعد شامه من عراقه . حتى انفسح في المعرفة مجاله ، وشهدت له بالاجادة ثيوخه ورجاله . وهو الان خطيب معقل الجبل (7) — حرسه الله — على طريقة غربية ، وحالة من الله قريية ، ملازم لظل جداره ، منقبض في ركن داره ، ذو همة يحسدها ( 75 . ب ) النجم على بعد مداره ، ورفعة مقداره .

لقيته والحال سقيمة ، والحملة — بظاهر جبل الفتح — مقيمة (8) ، والعدو في العدوان متبصر ، والكفر محلق وحزب الهدى مقصر (9) . فرأيت رجلا بادي السكينة والوقار ، ناظرا للدنيا يعين الاحتقار ، زاهدا في المال والعقار ، صاحب دمة مجيبة ، ومجالسه عجيبة . فكان لقاءه فائدة الرحلة العظيمة العنا (10) وموجبا لها حسن الثنا . وله قسم من البلاغة وافر ، رحمة الله عليه .

17) يعنى به : جبل طارق .

8) يرمى بذلك الى الحملة التي قادها الفونسو الحادي عشر القشتالي ، حين حاصر جبل طارق الذي كان ممتعا بحامية مغربية قوية ، واشتد الحصار يوما بعد يوم ، وجاء يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة فربط بجيشه خلف جيش النصارى ، ولبث الوضع الحربى تجاه الجبل على هذه الحالة ، حتى انتضى عام كامل على هذا الحصار . ثم يتدخل القدر لصالح المسلمين ، ذلك ان الوباء قد تفشى بين جنود النصارى وقضى على ملك قشتالة في مقدمة من قضى عليهم من جيشه ، الامر الذي اضطر الاعداء الى فك الحصار ، فكان هذا بشارة بخلاص الجبل والمدانعين عنه من الداخل والخارج ، وذلك في ليلة عاشوراء من عام 751 هـ ( 26 مارس 1350 م ) .

راجع : مخطوط « الاحاطة » الاسكوريال 1673 ج 2 ص 382 وما بعدها .

9) تورية لطيفة في ثوب من تعبير به اشارات الى بعض مناسك الحج .

10) يشير ابن الخطيب بهذا الى انه كان ضمن حاشية السلطان في ذلك الحصار .

ومن ذلك في وصف :

## 8 - أبى جعفر ابن أبى خالد \* رحمه الله

سابق لا تدرك غايته ، وبطل لا تحجم رأيته ، وبليغ تزرى بالافضاح  
كنائته . وطلع بذلك الافق ونجم ، وطاب عارض بيانه وسجم ، وعجم من  
عود البلاغة ما عجم ، فأطاعته القوافي والاسجاع ، وأداه الى روض  
الاجادة والانتجاع . ولم يزل يشحذ قريحته الوقادة ويستدعيها ،  
( 76 . أ ) ويسمع الحكم ويعيها ، حتى توفرت في البراعة اقسامه ، وطبق  
مفاصل الخطاب حسامه . فطرز المهارق ووشاها وفضح أسرار البلاغة  
وأفشاها ، وأتى من الرسائل بالآتى السائل . الى الدين الذى لا تعمز  
قناته ، والخلق الذى يرضى الله حلمه وأناته .

وهذا الخطيب وابن عمه (11) فرسا رهان ، ومقدمتا برهان ، وعلما  
بيان ، ورضيعا لبان . لكن النثر أغلب على لسانه ، والخطابة أعرق فى  
نسب احسانه .

ومن ذلك في وصف :

## 9 - أبى سعيد ابن لب (12)

سابق ركض ملء عنانه ، وشارق طلع في أفق أوانه . أورى له زند  
الذكاء اقتداحا ، وأجال في كل فن قداحا ، فجلى في ميدان الاجادة وبرز ،

(11) لم يفسح المؤلف عن اسم هذا القريب .

(12) اسمه مرج ، من اعلام الاتدلسيين ، ولد عام 700 هـ ( 1300 م ) وتوفى عام 782 هـ  
( 1381 م ) وهو من أشهر أساتذة مدرسة غرناطة التى أنشأها السلطان أبى  
الحجاج يوسف الاول ، على يد حاجبه أبى النعيم رضوان النصرى عام 750 هـ  
( 1349 م ) .

وطرق المجالس وطرز . فان نقل أوضح العبارة وصقل ، وان نظر وبحث ،  
نشر رسم المعانى وبعث ، وان بين وعلم أقر له المنازع وسلم .

الى خلق أطيب من الراح ، وأصفى من الماء القراح . وله في فريضة  
الادب سنهم ، وفي معاناة المعانى تحقيق لا يدخله وهم . ( 76 . ب )  
وتقدم للخطابة ببعض أرباض الحضرة فوفى الرتبة حقها ، وسلك من  
الديانة طوقها .

ومن ذلك في وصف :

### 10 - أبى يزيد خالد ابن أبى خالد

أمام بادية ، وضارع بذكر الله في كل رائحة وغادية ، أنس بالوحدة  
والانقطاع ، وتعل بقليل من المتاع . وانقبض وتتشف ، وقبل ثغر  
الحقيقة وترشف . وأكرم به من مجموع خصل ، وضارب في هدف القبول  
ينصل . الى اخلاق بينة الحلاوة ، ونعمة طيبة عند التلاوة ، وأدب عطر  
الجريال ، موسى الطرر والاذيال .

ومن ذلك في وصف :

### 11 - أبى عبد الله اليتيم (1)

مجموع أدوات حسان ، من خط ونعمة ولسان ، اخلاقه روض  
تتضوع نسماته ، وبشرة صبح نتألق قسماته ، ولا تخفى سماته ،

(1) هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد العبدى ، ترجم له ابن الخطيب  
في ( التاج المحلى ) وكذا في « الكتبية الكامنة » ص 59 - 60 حيث ذكر له  
نموذجاً رقيقاً من شعره . كما نقل المقرئ في ( النفع ) بعض مراسلات بينه وبين  
ابن الخطيب ج 8 ص 200 - 204 ، توفى رحمه الله عام 750 هـ .

يقرطس أغراض الدعاية ويصميتها ، ويفوق سهام الفكاهة الى مراميها . فكلما صدرت في عصره قصيدة هازلة ، أو أبيات منحطة عن الاجادة نازلة ، خمس أبياتها وذيلها ، وصنف معانيها ( 10 : أ ) وسيلها ، وتركها سمر الندمان ، واضحوكة الزمان .

وهو الآن خطيب المسجد الاعلى من مالقة متحل بوقار وسكينة ، حال من أهلها بمكانة مكينة ، لسهولة جانبه ، واتضح مقاصده فى الخير ومذاهبه واستقل لاول مرة بالتعليم والتكثيب وبلغ الغاية فى الوقار والترتيب ، فالشباب لم ينصل خضابه (2) ، ولا سلت للمشيب عصابة ، ونفسه بالمحاسن كلفة صبة ، وشأنه كله هدى ومحبة .

ومن ذلك فى وصف :

## 12 - أبى عبد الله الخريز الخياط حرفة

اديب على السنن سالك ، وبلغ لزام القول مالك . كان - رحمة الله - خطيبا بثغر وبرة - تولى الله جبره ، وأعاد الى ملكة الاسلام أمره - على طريقة مثلى ، وسيرة فضلها يتلى ، اخذ فى فنون ، ومحاضر من الادب بعيون . وكان رصافى الانتحال والحرفة ، وكم بين الراح المشوبة والصرفة . ولم اظفر من نظمه - على كثرتة ، وتائق أسرته - الا بأبيات ، نسبها اليه بعض ( 10 : ب ) أصحابه ، المعتنين بنقل آدابه .

(2) خضاب نصول : حناء مزالة .

ومن ذلك في وصف :

### 13 - أبى عبد الله البدوى

خطيب طلق اللسان ، وأديب رحب الاحسان . تشرف بالرحلة الحجازية ولبس من حسن الحجازية . ثم أسرع ببلده فحط لعتاده الرحل . وأقبل اليه اقبال الغمامة على المحل ، فعظم به الاغتباط ، وتوفر تعدى - في الخطابة - النشاط ، ولم تثن - عن الغرض فيه - الدعابة والانبساط .

وهو الآن خطيب بها يحرك المجامع ، ويقرط المسامع ، ويرسل من الجفون المدامع . وله في العربية حظ وافر ، وفي الآداب قسم سافر .

ومن ذلك في وصف :

### 14 - أبى جعفر بن فركون (14)

شيخ الجماعة وقاضيها ، ومنفذ الاحكام وممضيها ، وشائم سيوفها الماضية ومنتضيها . كان - رحمه الله - لجا لا يساجل موجه ، وفرقدا لا

14) هو الشيخ الفقيه ابو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد ابن أحمد القرشى ، احد اعلام الفقهاء بالاندلس ، طالما اسند اليه منصب القضاء فنهض بأعبائه الجسام . عرف بحسن المجالسة ، وطيب المحاضرة ، دقيق النظر ، مشارا اليه بالعدالة والنزاهة والوقار ، مشهورا برحابة الصدر وحلاوة الدعابة « طال يوما بين يديه تعود رجل اسمه أحمد بن معاوية ، دعا اليه في حق وقع الفصل فيه ، فاستأذنه في الذهاب ، فقال : يا سيدى ! ينصرف أحمد ؟ فقال : لا ينصرف ! فأتاهم ذلك الرجل وجلا حتى نبه على أن القاضى انها قصد التورية » . تولى القضاء بعدة مدن ، منها رندة ، ومالقة والمرية ، ولما التحق بقرنطنة استمر قضاؤه بها مع الخطابة ، وذلك حتى اول عصر السلطان أبى الوليد اسماعيل بن الاحمر . ولد - رحمه الله - عام 649 هـ ، وتوفى في 16 ذى القعدة عام 629 هـ .

راجع : ابو الحسن النباهى المالى فى « المرقبة العليا » ص 138 - 139 ط. بيروت .

تتعاطى أوجه . تقدم لداته ونفسه على أبناء جنسه ، وأربنى يومه على أمسه . فهدر هدره البازل (15) وتقدم في استنباط الاحكام ومعرفة النوازل ( 78 . أ ) الى وقار تود رضوى حناصته ، وصدر تحسد الارض العريضة ساحته ، ونادرة يدعوها فلا تتوقف ، ويلقى عصاها فتتلقف . وكان له في الادب مشاركة ، وفي فريضة النظم حصة مباركة .

ومن ذلك في وصف :

### 15 - أبى جعفر بن أبى جبل

قد تثنى عليه الخناصر ، وصدر لا يحصر فضائله حاصر . وقاض يريش سهام الاحكام ويبريها ، ويزيل بنظره الشبه التى تعتريها ، ويطبق مقاصد الفصل بذهنه الذلق النصل فيفريها . تولى الاقطار فازدانت ، وتقلد الاحكام فلاحت المعدلة وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية لاهلها حيث كانت .

وأما الادب فكان - رحمه الله - سابق حلبة زمانه ومجتلبيها ومتناول رايته ومتوليها ، وان كان لغير فن الادب مصروفا ، وبالعلوم الشرعية معروفنا .

---

15-البازل . يقال . رجل بازل ، اى فيه شدة ، وله خبرة ، ويقولون : « رمى بأشهب بازل » . اى بأمر صعب .

ومن ذلك في وصف :

## 16 - أبي بكر ابن شيرين • رحمه الله (16)

خاتمة المحسنين ، وقدوة الفصحاء اللسنين . قريع بيت ( 78 . ب )  
زاحم النجوم بكاھله ، وورد من المجد أعذب مناھله . ملاء العيون هديا  
وسمئا ، وسلك من الوقار طريقة لا ترى عوجا ولا أمئا ( 17 ) . فما

16) هو الشيخ محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن أحمد الجذامى المعروف  
بأبن شيرين ، ولد حوالي سنة 600 هـ ، بمدينة سبته ، التي كان قد انتقل اليها  
أبوه عقب سقوط اشبيلية في أيدي الاسبان ابان حروب الاسترداد ، اذ أصله  
من شلب من كورة باجة باشبيلية . تولى الكتابة السلطانية في غرناطة اواخر  
عام 605 هـ ، ثم تقلد منصب القضاء بكثير من الجهات بالاندلس . « وكان - رحمه  
الله - فريد دهره في حسن السبوت ، وجمال الرواء ، وبراعة الخط ، وطيب  
المجالسة ، من أهل الفضل والدين والعدالة ، غاية في حسن العهد ومجالمة  
العشرة . أشد الناس اقتدارا على نظم الشعر والكسب الرائق » ، ومن مشايخه  
جده لأمه الاستاذ أبو بكر بن عبيدة الاشبيلي ، والاستاذ أبو اسحاق الغافقى .  
وروى عن كثيرين من أعلام العصر فمنهم قاضى الجماعة الشيخ الامام أبو  
اسحاق ابراهيم بن عبد الرميع وغيره ، وذلك ابان رحلته الى تونس ، حيث  
لقى هذا العالم الكبير .

من شعره في وصف غرناطة :

رعى الله من غرناطة متبوا يسر كئيبا ، او يجير طريدا  
تبرم منها صاحبى بعد ما رأى مسارحها بالبرد عدن جليدا  
هى الثغر صان الله من اهلت وما خير ثغر لا يكون بسرودا

توفى في اليوم الثالث من شعبان عام 747 هـ ، ولم يترك خلفا من الذكور .  
راجع : النباهى في « المرقبسة العليا » ص 153 .

17) اقتباسا من قوله تعالى « ويستلونك عن الجبال فقل بنسفها ربي نسفا . فيذرها  
قاعا صفصفا . لا ترى فيها عوجا ولا أمئا » سورة طه آية . 105 - 107 .

شئت من فضل ذات ، وبراعة أدوات ، ان خط نزل عن درجته وانحط ،  
وان نظم ونثر ، تنتبع البلغاء ذلك الاثر . وان تكلم انصت الحفل لسماعه ،  
وشرح لدرره النفيسة — صدف اسماعه .

وقد على الاندلس — عند كايئة سبئة (18) . وقد طوحت النوى  
برجاله ، وظعن عن ربه لتوالي امحاله ، ( وبها ) مصرف الدولة فى  
بلادها المستولى على طارفها وتلادها ، مغرس الادب ومقيلها ، وناعش  
العثرات ومقيلها ، أبو عبد الله بن الحكيم — قدس الله صداه ، وسقى  
منتداه — فاهتز لقدمه اهتزاز الصارم ، وتلقاه تلقى الاكارم ، وانهض  
الى الغاية آماله وألقى له قبل السواده ماله ، ونظمه فى سمت الكتاب ،  
وأسلاه عن أعمال الاقتاد والاقتاب ، ولم يزل زمامه يتأكد فى هذه الدول ،  
وتربى له ولايته منها على الاول . فتصرف فى القضاء بجهاتها ، وقادته

---

18) هى احدى المدن الساحبية شمال المغرب وضمن ترابه ، ولكنها تتبع حاليا  
اسبانيا لها تاريخها على مر العصور الوسطى الاسلامية ، من حيث كونها قاعدة  
سياسة هامة ، وقد اتخذها الامويون مركزا حربيا رئيسيا ، فكانوا يصدون منها  
تيار الفاطميين ، وفى القرن الثالث عشر الميلادى استولت عليها اسرة « بنى  
العزنى » الاندلسية ، ثم بقيت تحت حكم بنى الاحمر أمراء غرناطة فترة من  
الوقت ، ثم استولى عليها البرتغال فى القرن الخامس عشر ، وأخيرا ضمها  
الاسبان اليهم ، وما تزال تحت حكمهم حتى اليوم . واليها ينتسب العالم  
« مرانة السبتي » من أعلم الناس بالحساب والهندسة والفرائض والتاليف ،  
ومن تلامذته « ابن مرانة الفرضى » الحاسب ، يقولون انه كان من أهل بلده ،  
وكان المعتمد بن عباد يقول « اشتهيت ان يكون عندى من أهل سبئة ثلاثة نفر . ابن  
غازى الخطيب ، وابن عطاء الكاتب ، وابن مرانة الفرضى » .

اما الكايئة التى يشير اليها المؤلف فقد حدثت عام 605 هـ ، وسنعود الى الحديث  
عنها فى مناسبة اخرى قادمة .

راجع : الحموى فى « معجم البلدان » ج 10 ص 182 — 183 ط. القاهرة  
1906 م .

( 79 . أ ) العناية هاك وهاتها ، فجدد عهد حكامها العدول من سلفه وقضاتها .

وله في الادب الذي تحلت بقلائده اللبات والنحور ، وقصرت عن جواهره البحور وسير ذلك - في تضاعيف هذا المجموع - ما يشهد بسعة ذرعه ، وبخبر بكرم عنصره ، وطيب نبعه .

ومن ذلك في وصف :

### 17 - أبى القاسم الخضر بن أبى العافية (19) رحمه الله

فارس ميدان البيان ، وليس الخبر كالعيان ، حامل لواء الاحسان ، لاهل هذا اللسان ، رقل في حلل البدائع فسحب أذيالها ، وشعشع أكواس العجائب فأدار جريالها ، (20) واقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح الى الغاية البعيدة فنالها وتذوكرت المخترعات فقال . أنا لها . عكف واجتهد ، وبرز الى مقارعة المشكلات وشهد ، فعلم وحصل ، وبلغ الغاية وتوصل .

(19) هو الشيخ القاضي الحضري بن أحمد بن أبى العافية الانصارى ، وكنيته أبو القاسم ، ويعرف بابن أبى العافية ، من اهل غرناطة . اشتهر من بين اعلام القضاء ، معروفا بفتاواه وحل المعضلات ، واستخراج النصوص الغريبة ، ونسخه لها بيده ، وتقييده الكثير من المسائل كما كان مضطلعا بنوازل الاحكام ، وهو - الى ذلك - من ائمة النحو في الاندلس . وكان مقصد القضاة ، ومحل استشارتهم في المشكلات ، بارعا في الادب ، ظريفا في الخط ، ممارسا للشعر . توفى - رحمه الله - بمدينة برجة ، ولكن دفن في غرناطة ، عند باب البيرة ، الذى ما يزال قائما حتى اليوم من ابواب العاصمة ، قرب ميدان النصر الآن ، وذلك عصر يوم الاربعاء آخر ربيع الاول من عام 745 هـ ، في عهد السلطان أبى الحجاج يوسف الاول ابن الاحمر ( 773 - 755 هـ = 1333 - 1354 م ) كما كان معاصرا للمؤلف ( ابن الخطيب ) .

راجع النباهى في « المرتبة العليا » ص 149 - 152 .  
(20) الجرية في الاصل : حوصلة الطائر .

وتولى القضاء فاضطلع بأحكام الشرع وبرع في معرفة الاصل والفرع ،  
وتميز في المسائل بطول الباع ( 79 : ب ) وسعة الذراع فأصبح صدر  
مصره ، وغرة في صفحة دهره .

ومن ذلك في وصف :

## 18 - أبى اسحاق بن جابر الوادى آشى (21)

فحل هادر ، وبليغ - على الكلام - قادر . اهتز له العصر على  
رجاحة أطواده ، وظهر له الفضل على كثرة حساده . ولما جلى في منصة  
الابداع بنات فكره ، وحاسن عقائل الحى الحلال بفكره ، طولب باثبات  
تلك البنوة ، وقيل . هذا الجمل وهذه الكوة ، فخاصم حتى أظهر الحق ،  
وتمم فاستحق ، وذيل ووطى ، وتجاوز الغاية البعيدة وتخطى .

ولم تزل بدائعه في اشتها ، وروضات آدابه أزهار ، وتصرف في  
الكتابة فكان صدر ناديمها ، وقلادة هاديهها . وولى خطة القضاء في هذه  
المدة ، وقد ناهز اكتماله وبلغ أشده ، وحسنت سيرته ، وأثنت عليه بكل  
عمل جيرته ، وله نفس الى العلم مرتاحة ، وخواطر تنتجع منه كل ساحة ،  
هام فيه بكل مستحيل وجائز ، وكلف حتى بعلوم المعجائز وشعره جزل  
الاسلوب ، وعذب ( 80 . أ ) في الافواه والقلوب .

---

21) النسبة الى « وادى آش » او « وادياش » كما ترسمها بعض المخطوطات ،  
احدى المدن الاندلسية ، تقع شمال شرق غرناطة ، على نهر فردس ، وتبعد  
عن العاصمة بنحو خمسة وخمسين كيلومترا ، وللمدينة تاريخها عبر العصر  
الاسلامى ، وما تزال قائمة حتى اليوم .

راجع: الحميرى في «الروض المعطار» ص 192 - 193 نشر ليفى بروفنسال،  
ط. لندن 1938 .

ومن ذلك في وصف :

## 19 - أبى عبد الله بن غالب الطريفى

طويل القادمة والخافية (22) محكم لبناء البيت وتأسيس القافية . صاحب طبع معين ، وآت من القصائد بحور عين . عكف على النظم في جيله ، عكوف الراهب على انجيله . ولم يزل يفوق الى كل غرض سهامه ، ويستسقى صبيه وجهامه ، ويهز ماضيه وكهامه ، حتى اشتهرت أبياته ، وحفظت بديهيته وروياته . وتصرف في القضاء فاستقام أوده ، وانطلقت في الحكم يده .

وكانت له وفادات على ملوك هذه الدول ، في العصور الاول ، نظم فيها ومدح ، وقدح من قريحته ما قدح .

وتوفى ببلده عن سن عالية ، وزمانه متوالية . ولما شرع المؤلف - رضى الله عنه - في انشاء هذا الكتاب بعث اليه بعض أهل بلده - ممن عنى بحفظ الطروس ، واحيائها بعد الدروس - ( 80 . ب ) بمهارة (23) أكل الدهر منها ما تجسم ، وانتهبها الدهر ما شاء وتقسم ، فأثبت له ما ينظر في محله ، ان شاء الله .

ومن ذلك في وصف :

## 20 - أبى القاسم المعروف بابن الجمالة

صدر في القضاء ، وينبوع للخلال المرتضاة ، وطائع لسيوف الكلم المنتضاة .

(22) القوادم والخوافى . أوصاف تتعلق بريش الطائر ، فالقوادم هى الريشات في مقدم الجناح ، وهى عادة تكون كبار الريش ، والخوافى صفاره ، ومكانها تحت القوادم ، التعبير هنا مستعار للكناية .

(23) المهارة : جمع مهرق ، وهو الصحيفة .

نشأ ببلده رندة (24) — حرسها الله — صدر سكانها ، وفضيلة مكانها وزمانها ، وعين أعيانها ، وحامل لواء بيانها . ولم يزل يسلك من الفضل على السنن المأثور ، ويركض جياذ المنثور ، فأغرب الغرب بأدابه ، وتعلق الاحسان بأدابه .

وتولى الاحكام الشرعية ، فأجال قداحها ، وقرر مكروها ومباحها ، وتناول المسائل فأبان صباحها ، حتى خلصت فيه السرائر ، وعقدت على حبه الضمائر ، وطابت به الخواطر ، وتضوع من ثنائه المسك العاطر . وقعد لهذا العهد الاكبر ، وحوم عليه الاجل المنتظر ، فتعطلت لضعفه تلك النسوق ( 81 . ) ، وعدم — لانعدام بيانه — الدر المنسوق .

24) تقع مدينة رندة غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية ، كما كانت من أهم مدن غرناطة ، وتعتبر الحصن الذي يحمى مالقة من ناحية الغرب ، ولذلك لها سقطت رندة في يد الاسبان في ابريل 1485 م ( جمادى الاولى 890 هـ ) أضحى الطريق سهلا لاستيلاء القشتاليين على مالقة ، فقد سقطت هذه الاخيرة بعد قليل في أيديهم ( اغسطس 1487 م ) = ( شعبان 892 هـ ) . وتشرف المدينة على منطقة عالية من الربي ، ويشقها من وسطها وادى ليين ، وقد وصف ابن بطوطة رندة حينما زار الاندلس عام 1350 م بقوله :

« وهى من امنع معاقل المسلمين ، واجملها وصفا » ويبلغ عدد سكانها حاليا 50 الف نسمة ، فهى مدينة متوسطة الحجم ، يغلب عليها طابع القدم والبساطة ، وتبدو فى مسحة اندلسية واضحة ، من أهم الآثار العربية بها حتى اليوم اطلال القصبه الشهيرة ، والقنطرة عند مدخل المدينة الغربى ، وهى ذات عقد واحد بالغ الارتفاع ، ثم الحمامات العربية وهى اطلال دارسة ، تقع بمقربة من الكنيسة العظمى ، ومن الآثار كذلك « المنارة » فى نهاية المدينة ، ويبلغ طولها حوالى 12 مترا ، وقصر الامير أبى مالك ، ويقع فى طرف المدينة الجنوبي ، وباب المقابر فى حى « فرانسيسكو » ، والى هذه المدينة ينسب الفقيه ابن عباد الرندى .

راجع : ما كتبه « ليثى بروفنسال » عن هذه المدينة فى Enc. 151f-111.P.1254 ثم مجلة الاندلس ، العدد 472 ( 1944 ) .

ومن ذلك في وصف :

## 21 - أبى الحجاج المتشافرى

حسنة الدهر الكثير العيوب ، وتوبة الزمان الجم الذنوب ، ما  
شئت من بشر يتألق ، وأدب تتعطر به النسومات وتتخلق ، ونفس كريمة  
الشمائل والضرائب ، وقريحة يقذف بحرها بماء الغرائب . الى خشية  
لله تعالى تحول بين القلوب وقرارها ومراقبة تثنى النفوس ( عن )  
اغترارها . ولسان ييوح بأشواقه ، وجفن يسخو بدرر آماقه ، وحرر  
على لقاء كل ذى علم وأدب ، وبحث عن يمت - الى أهل الديانة والعبادة  
- بسبب .

سبق بقطره الحلبة ، ففرع من الادب الهضبة ، ورفع الراية ، وبلغ  
الغاية . فطارت قصائده كل المطار ، وتغنى بها راكب الفلك وحادى  
القطار . وتقلد خطة القضاء ببلده ، وانتهت اليه رياسة الاحكام بين  
أهله وولده ، فوضحت المذاهب بفضل مذهبه وحسن مقصده . وله  
شيمة فى الوفاء تعلم منها الآس ، ومؤانسة عذبه لا تستطيعها الاكواس .  
ومن ذلك فى وصف :

## 22 - أبى محمد عبد الحق بن عطية (25)

قريع بيت أصيل ، وصدر معرفة وتحصيل . نشأ على العفاف ،

(25) هو الشيخ القاضى عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربى .  
نشأ بغرناطة ، وتولى القضاء بالمدن الاندلسية ، واشتهر بيته بالعلم والنضل  
والكرم ، وعرف هو بالتبريز فى الاحكام والحديث والتفسير ، كما كان بارعا فى  
الادب والشعر ، لغويا ، مستخرجا للنصوص ، مقيدا لها . له تفسيره القراتى  
المشهور « الوجيز فى التفسير » ، يقولون : انه من أحسن التأليف وأبداع  
التصانيف فى هذا المضمار ، وتقوم بطبعه الآن وزارة الاوقاف المغربية ، ونشرت  
منه بعض أجزاءه . كانت ولادته عام 481 هـ ، وتوفى رحمه الله يوم  
25 رمضان عام 541 هـ .

راجع : « المرتبة العليا » للنباهى ، ص 109 .

وتبلغ بالكفاف ، وعمل على شاكلة من له من كرام الاسلاف . الى نفس  
ملايسها الحيا والوقار ، وأدب ينم عنه أخلاقه كما تتم تحت الزجاجة  
العقار ، وخط تهيم بمرقومه الابصار ، وبلاغة هذبها الاختصار ، ومحاضرة  
تتجلى بها الليالى القصار .

تقدم بقطره الى الخطابة والامامة ، أظهر من ماء الغمامة وأطيب  
من بنت الكمامة ، ففرع — على حدائة السن — أعوادها ، وبلغ آمادها ،  
وأصبح من الصدور فؤادها ، ومن العيون سوادها ولا ينكر العذب في  
ينبوعه ، والنور في مشرق طلوعه . وقد أثبت من أدبه ، ما يعرب عن  
مذهبـه .

ومن ذلك في وصف :

### 23 — أبى القاسم بن عيسى

قريع فضل ومجادة ، وضارب في هدف الآداب بسهم اجادة .

كان أبوه — رحمه الله — خطيب مالقة (26) صدر فضلائها ،  
وواسطة ( 82 . ) علائها . ونشأ هذا الفاضل — رحمه الله — سالكا  
في العفاف على مسلكه ، ومنتقلا في درجات فلكه .

---

(26) هي مدينة ساحلية على البحر الابيض المتوسط ، جنوب شرق الاندلس ، يرجع  
تأسيسها الى الفنيقيين عام 1200 ق.م . ، كانت تشتهر قديما بالاسماك المملحة ،  
وتتوفر المدينة حاليا على أجود انواع الفواكه ، ولها شهرة في صناعة الفخار .  
ولقد كانت عاصمة الحموديين الادارسة زمن ملوك الطوائف والى هذا يشير  
لسان الدين ابن الخطيب في كتابه « معيار الاختيار ، في ذكر المعيار والديار »  
فيقول : « كرسى ملك عتيق ، ومدرج مسك فتيق ، وايوان اكاسرة ، ومرقب  
عقاب كاسرة ، ومجلى فاتنة حاسرة ، وصفقة غير خاسرة » ، كما كان بنو  
الاحمر يعتبرونهاالعاصمة الثانية بعد غرناطة .  
راجع : المقرئ في « نفع الطيب » ج 1 ص 186 ، تحقيق الشيخ محى الدين  
عبد الحميد ط. القاهرة .

تولى القضاء لأول أمره ، على حداثة سنة وجدة عمره . ثم دعى للكتابة فنتقل الى الحضرة (14) وتحول ، وعزم على المقام بها وعول ، فأجال براعته ، وشهر براعته . ولما غصه الاغتراب ، وبأين وطنه كما بأين السيف القراب ، شاقه الالهل والاتراب ، والماء والتراب ، وحن الى دوحه الذى به تأود ، وكبرت عليه الخدمة وصعب على الانسان ما لم يعود . فرغب فى الانصراف الى بلده ، واحتمال أهله وولده . وهو اليوم قاضى جهاتها الغربية ، ومنفذ أحكامها الشرعية .

وله أدب وخط ، وبحر من المعرفة ليس له شط . وقد أثبت من شعره ما يشيد بذكره .

ومن ذلك فى وصف :

#### 24 - أبى زيد خالد بن خالد

فائز من الابداع بكل مطلوب ، ومشمتمل اسماع وقلوب ، ( 82 . ب ) وفى البداوة حسن غير مجلوب (28) . قدح قريحته اللوقادة ، وراض صعب الكلام فأعطاه المقادة . فتألق بذلك الافق تألق البرق ، وطلع بتلك الجهة الشرقية ولا ينكر النور على الشرق . فشرف فى قومه ، وأصبح فيه امسه منافسا ليومه . الى بلاغه تتحلى بها صفحات المهارق ، وعفاف حتى عن الخيال الطارق .

ورحل الى هذا العهد القريب ، وقد أصبح بحسن ضرايبه عديم الضرايب ، فاقتحم فرصة المجاز (29) ، الى مثابة الحجاز ، فقضى وطره

(27) يعنى بالحضرة : غرناطة العاصمة النصرىة .

(28) عجز بيت يروى هكذا :

حسن الحضارة مجلوب بتطرية وفى البداوة حسن فير مجلوب

(29) يعنى انه عبر مضيق جبل طارق .

من تلك المشاهد وتبرك بلقاء أهلها من عالم وزاهد . وقفل وقد دون رحلة سفره ، وزها بها زهو الجفن بزهره ، والخذ بخفره . واجتاز بالبلاد الموحدية ، فدعته الى خدمة بابها ، وقلدته رياسة كتابها . فأينع روضه واثمر ، وحل بهالنتها فأضاء وأبدر ، فلم يكن الا كلا وأكثر . حتى جذبه الشوق برسنه ، وطار به الوجد الى وطنه . فأسرع اللحاق ، وأثار على النور المحاق ، وعلى ذلك فقد ولى للحين ( 83 . ) ببلدته قضاءها ، وتقلد انفاذ الاحكام وامضاءها ، رحمه الله .

ومن ذلك في وصف :

## 25 - أبى عبد الله بن عبدة

مجموع أدوات ، وفارس قلم ودواة . وشيخ تقع العين منه على صورة طريفة وهيئة ظريفة ، وقريع بيت نبيه ، وأصاله ليس لها من شبيهه . وله خط حسن وبلاغة ولسن . تصرف في القضاء فما ذوى لسيرته نور ، ولا نسب له حليف ولا جور .

ومن ذلك في وصف :

## 26 - أبى زكريا القباعى

شاعر ، اذا نظم أجاد ، وان استسقى طبعه جاد . الى ديانة سابغة الاذيال ، واخلاق معتقة الجريال (30) ، ومعان الطف من طيف الخيال . ولم أقف من كلامه الا على قصيدة ، مبدية فى الاحسان معيدة ، يخاطب بها الوزير أبى بكر بن الحكيم (31) .

(30) الجرية : فى الاصل حوصلة الطائر ، وربما عنى هنا وعاء المسك فى جسم الغزال .

(31) سيفرد له ترجمة خاصة بعد قليل .

ومن ذلك في وصف :

## 27 - أبى جعفر السياسى

حسن الاغراض ، يقى الجواهر من مخالطة الاعراض ، وأدب غض  
كزهر الرياض ، ومعان كمن فيها الابداع ( 83 . ب ) كمون السحر في  
الجفون المراض وتقدم للقضاء ببعض تلك الجهات . فأقام رسمه ،  
وانفذ حكمه ، بنزاهة ماثورة ، وسيرة مثكورة .

ومن ذلك في وصف :

## 28 - أبى جعفر بن عبد الحق

مجموع فضائل ، وكامل لم يدع مقالا لقائل . ان ذكرت المعارف  
فهى من حلابه ، أو تليت سورة السور كان ذكره أم كتابه .

قعد ببلده يدرسن العلم ويجيل قداحه ، ويدير أكواس البيان  
ويشعشع راحة فأصبح به غرة ، وبلبل عصره ودره . الى وقار تحسد  
العضاب سكونه ، وتهوى أن تكونه . واقناع بحسب كل سائل ، ومقيم  
من المشكلات كل مائل . وأدب لا تشح رهامه (32) ولا تتعدى الغرض  
سهامه ، صدر معظمه في دول درسه ، واجتناه ثمرة . لعلم من غرسه ،  
على جهة التعليم والتدريب ، لمنتحلى البيان والغريب .

---

(32) السهام : ج رهمة بكسر فسكون ، المطر الخفيف الدائم .

ومن ذلك في وصف :

## 29 - الحكيم المفرد أبو عثمان بن ليون \*

مجتهد مشمر ، منقبض عن الناس متعمر . قصر - على نظر العلم - أوقاته ، وتبلغ بالقليل بغاته . وعكف على التقييد والتدوين ( 84 . أ ) ، واكتسب من الامهات كل ذخر ثمين ، وهلم حرا ، فقد اشتهر بفوده صبح المشيب ، ونضا برده الزمن القشيب . وما فتر عن مواصلة اجتهاد ، وايثار أرقه وسهاده ، ومال الى صناعة الطب فدون فيها ، وشارك منتحليها . وجعلها مادة حاله ، ومحط رحاله .

وله نظم حسن ، وعارضة ولسن ، نظم به العلوم ودون ، وتقلد في شتى المآخذ وتلون . وبآخره فهو روضة انيقة ، وخميلة وحديقة ، وضارب بسهم في كل طريقة . وقد أثبت من شعره يسيرا ، جعلته للمحاسن اكسيراً (33) .

---

\* هو الشيخ ابو عثمان سعيد بن احمد بن ليون ، أحد شيوخ المؤلف ، كان ميالا الى اختصار الكتب ، وصفه المقرئ بقوله : « . . . وتواليه تزيد على المائة ، وقد وقفت منها بالمغرب على أكثر من عشرين » ، وقد أورد له مجموعة كبيرة من مقطعاته الشعرية .

انظر : المقرئ في « النفع » د 8 ص 58 ، ونيل الابتهاج ، د 5 : 1 ( ط . فاس ) ، والكتيبة الكامنة ، ص 86 ، 87 ( بيروت 1963 ) .

(33) الاكسير : في الاصل مادة تلقى على الفضة فتتحول الى ذهب خالص ، وهو من الخرافات ، ولكن في العلم الحديث يعنى الاكسير « مادة الحياة وسرها » لاي شيء عامة .

ومن ذلك في وصف :

### 30 - المكتب أبى عبد الله ابن قاسم الملقى

مجدد مرثل ، وعابر متبتل ، على ما يزلفه من صالح الاعمال  
ويدنيه . عكف على تعليم كتاب الله العزيز ، وشمر على قدم التبريز ،  
وارتضاه الوزير ابن الحكيم \* أماما لصلاته ، واعتمد بجوايزه الجزيلة  
وصلاته . ولم يزل ( 84 : ب ) يرفعه يضبعه (34) حتى عصف الدهر  
بربعه . فضاء ضياع مصباح الصباح ، ولعبت به الايام كما لعبت  
بالهشيم أيدي الرياح . وتقلبت به أيدي الزمان ، واحوجت الثمانون  
سمعه الى ترجمان (35) .

وله أدب محكم القوى ، منيع الهضبات والصوى (36) .

---

(34) القصد من التعبير . الاشادة بالذكر عاليا .

(35) اقتباسا من قول الشاعر :

ان الثمانين - وبلغتها - قد أحوجت سمى الى ترجمان  
والتعبير كناية عن بلوغ المترجم له مرحلة متأخرة من العمر .

(36) الصوى : ما يوضع من احجار كدليل بالطريق .

\* سنفى لهذا الوزير ترجمة ضائبة ، وذلك عند حديث المؤلف عن « الخطيب اى  
عبد الله بن رشيد » .

ومن ذلك في وصف :

### 31 - ابن عبد الله بن الضايغ

#### من أهل المرية (37)

بحر معرفة لا يغيض ، وصاحب فنون يأخذ فيها ويفيض . نشأ من بلاده مثمرا عن ساعد اجتهاده ، وسائر في فن العلم ووهاده ،

(37) المرية . مدينة كبيرة جنوب شرق الاندلس تعرف في الاسبانية باسم *Almaria* وهي من أجمل الثغور والمدن الاندلسية ، وعاصمة الولاية المسماة باسمها ، يبلغ تعداد سكانها حوالي 83.000 نسمة ، وأهم صادراتها الحديد والرصاص والفاكهة ، وكانت في العهد الاسلامي من أهم ثغور الاندلس الجنوبية ، ولها اصلتها التجارية ، فقد ذكر ابن الخطيب انه كانت تقطنها على ايامه جالية اجنبية من النصرى الاسبان وغيرهم ، وكانت مهنة معظمهم التجارة استيرادا وتصدير ، وترجع شهرتها في هذا الى صناعة الطل الحريرية المشاة ، وقد اعانها موقعها البحرى على تصدير هذه الصناعة الى الخارج بواسطة السفن ، والى الداخل بواسطة القوافل البرية وقد ذكر « المقرئ » في روايته عن كتاب « مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية » لابن خاتمة النصرى أحد ابناءها — انه كانت بالمرية على عهده 800 نول لطرز الحرير ، و 100 للطل النفسية والديباج وامثال هذا العدد مكرر لانواع اخرى من هذه الصناعة ، كالستر المكلفة وغيرها . كما ذكر عن نفس المصدر انه كانت تصنع بالمرية صنوف متنوعة من آلات الحديد والنحاس واشكال من الزجاج ، وكلها مما لا يكاد يوصف ، ثم اضاف « ابن خاتمة » قائلا . انه لم يكن في بلاد الاندلس أكثر مالا من أهل المرية ، ولا اعظم متاجر ولا اوفر ذخائر ، وانه كانت بها دار للصناعة .

ولقد بنى المدينة أصلا الخليفة الاموي عبد الرحمن الثالث « الناصر » عام 344 هـ 955 م ، ونسقطت في يد الاسبان ابان حروب الاسترداد عام 895 هـ (1490 م) . راجع . الروض المعطار للحبيري ، ص 183 — 184 ، وخطرة الطيف ، ضمن « مشاهدات ابن الخطيب في بلاد الاندلس والمغرب » ص 143 ، بتحقيق د. العبادى ط. جامعة الاسكندرية 1958 ، ونفع الطيب للمقرئ ج 1 ص 154 ، ثم ما ذكره المستشرق « زيولد » في دائرة المعارف الاسلامية عن وضعية هذه المدينة في العصر العربي ج 1 ص 319 .

ومواصلًا لأرقه فيه وسهاده ، حتى أينع روضه ، وفهق حوضه (38) ،  
وأضاعت سرجه ، وتعطر أرجه .

ولما استكمل من المعارف ما استكمل ، وبلغ ما أمل ، أخذ في اراحة  
ذاته ، وشام فوارق لذاته .

ثم سار في البطالة سير الجموح ، وواصل الغبوق الصبوح (39) ،  
حتى قضى وطره ، وسئم بطره . وركب الفلك وخاض اللجج الحلك .  
واستقر ( 85 . أ ) بمصر على النعمة العريضة بعد قضاء الفريضة ،  
وهو اليوم (40) بمدرستها الصالحة (41) — عمرها الله بذكره — نبيه  
المكانة ، معدودا في أهل العلم والديانة . وصدرت عنه الى هذه البلاد  
قصيدة نبوية ، تغنى بها الحادى المطرب ، وكلف بها المصعد والمصوب ،  
تدل على انفساح طباعه ، وامتداد باعه .

---

(38) فهق الحوض أو الاناء : امتلا حتى صار يتصبب ، والكناية هنا عن استكمال  
المترجم له لاسباب العلم والمعرفة .

(39) الغبوق . العشى . والصبوح ، الغداة ، والقصد هنا . مواصلة ليله بنهاره نياما  
هو بصدده .

(40) عصر المؤلف ( ابن الخطيب ) .

(41) تنسب هذه المدرسة الى منشئها السلطان الايوبى من دولة الممالك البحرية  
بمصر البالغ عددهم 24 سلطانا ( 1250 — 1290 م ) ، وهم تقسيم لمن بعدهم  
من الممالك البرجية ، وهؤلاء يبلغون 23 سلطانا ( 1382 — 1517 م ) والجميع  
يرجعون أصلا الى اجناس شتى فمنهم التركى والشركسى والمغولى والايطالى  
والالمانى واليونانى . وقد طارت شهرة الممالك لما حققوه لمصر من قوة وثروة  
وسلطان ، كما يرتبط تاريخهم بصد الخطر المغولى ، وانهم أخرجوا الصليبيين  
من الشام ، حتى غدوا القوة العظمى دفاعا عن العالم الاسلامى يومئذ ،  
ويعتبرون في النهاية آخر الدول المستقلة التى حكمت مصر .  
راجع . تاريخ العالم العربى وحضارته ، للدكتور زيادة وآخرين . ص 215 —  
217 ط ( القاهرة الخامسة 1965 م ) .

ومن ذلك في وصف :

### 32 - أبى عبد الله بن الحاج البضيعة

مدد المقاصد ، آخذ للمعاني بالمراسد ، وكاتب شروط لا يساجل  
في مضمارها صحة فصول ، وتوقيع فروع على أصول . وكلما طلب  
بالنظم القريحة ، وأعمل فكرته الصريحة ، أجابت ولبت : وتسمنت رياح  
بيانه وهبت . . وحفظت العامة من كلامه لقربه من افهامها ، وانتصاب  
غرضه اسهامها .

ومن ذلك في وصف :

### 33 - أبى عبد الله بن عصام

منتم الى حسب ومجد ، وفارع من الاصاله كل نجد ، وان نوزع  
فيها بخصام . وخلفه الذى رأس من بعده ، واستوفى بمرسية ( 85 : ب )  
حظ سعه حتى أتاه الاجل لوعده ، وراعه الدهر ببرقه ورعه .  
وكان هذا الرجل عدلا من عدول بلده ، وذاهبا من الفضل الى  
أقصى أمده لولا تهور وافراط ، وطيش تخبط في شركه وتورط .  
وله أدب ضعيف المبني ، خال من المعنى ، كان يسهل عليه ، وينثال  
بين يديه .

ومن ذلك في وصف :

### 34 - أبى جعفر بن أبى غالب

ماطر جاد بالوابل السجم ، وشاعر افنتح بيتا في النجم . وبلغ  
قاد الكلام برسنه وايقظ طرف البلاغة من وسنه ، وطبق فصل الخطاب  
بلسنه .

كان وابن عمه — رحمهما الله — فرسى سباق ، ومديرى كأس  
اصطباح للادب واغتراب . غير أنه كان أشد انقباضا ، وأكثر أزورارا (42)  
عن الخدمة واعراضا . وابن عمه اسمح طباعا ، واقسح باعا ، وأوفر  
صاعا ، فقد انتجع واسترشد ، وأصلح بتعريضه واقتصد ، حسيما  
تضمنه كتابى المسمى بـ « طرفة العصر » ، فى اخبار دولة بنى نصر .

وقد أثبت من شعر أبى جعفر ( 86 . أ ) هذا ما يشهد باجادته ،  
وينظمه فى فرسان الكلام وقادته .

ومن ذلك فى وصف :

### 35 — أبى الحسن الرقاص

سابق لا يشق غباره ، ودوح فنون لا يغب جناه (42) ولا تذبل  
أزهاره . تتبع الغوامض بثاقب فهمه ، وأصمى كل مشكلة بسهمه (43)  
فشأى حليته وتقدمها ، وزاول المعارف وخدمها ، فترشف منها كل ريقه ،  
ولم يقتصر على طريقة ، وتفتيا كل حديقة ، من مجاز وحقيقة . فكما  
استمطرته صاب ، أو رميت به غرضا أصاب . حتى تضوع نسيمه الهمم ،  
لطبيعة الشمائل والشيم .

وقد أثبت من أدبه — الذى خاطبنى به — كل عطر النفحة ، مشرق  
الصفحة .

(42) الأزورار . مصدر أزور ، وهو العدول والانتحراف .

(42) غبت الفاكهة تغب . بمعنى انها تاتى ثمارها اياما بعد ايام ، فالتصد هنا ان  
المرجم له لا ينتطع له انتاج .

(43) اصماه السهم . أصاب منه مقتلا ، والمقصود هنا اصابة التوثيق فى شتى  
المشاكل المعروضة عليه ، وذلك بما يتوفر عليه الشيخ من بقة وتصرف .

ومن ذلك في وصف :

### 36 - أبى عبد الله النجار

متقن مشارك ، واخذ في الادب غير تارك . برع في الوثيقة وأحكامها  
وتفصيل فصولها على مقتضيات أحكامها . الى نفس جبلت على حسن  
الاخلاق ، وشمائل أعذب من الماء الزلال ( 86 . ب ) في المذاق ، وايناس  
يسرى في الارواح سرى الراح ، ومذاكرة اشهى من العذب القراح .

وهو - الآن - صدر في عدول بلده ، وسابق تقف الحلبنة منهم دون  
أمره .

ومن ذلك في وصف :

### 37 - أبى عبد الله الزيان الوقشى

صنع اليبدين ، فايز من سهام الضراب بالفريضة والدين . اذا  
زين الطروس (44) وقطر أصباغها ، وأحكم في قوالب السحر افراغها ،  
حسر قدح تلوينها ، وحقرت الرياض بساتينها . الى خط يقف عذده الطرف ،  
وأدب كالروض راق منه المجتلى وتأرجح العرف (45) ونفس أرق من  
نسيم الفجر ، واخلاق أعذب من الوصل في عقب الهجر .

وقد أثبت من كلامه ما تعذب موارد ، وتروق شوارده .

---

(44) الطروس : ج طرس بكسر فسكون ، وهو الصحيفة .

(45) العرف . الرائحة عموماً ، والاستعمال الأكثر للرائحة الطيبة ، فتأرجح العرف  
هنا ، انتشرت رائحته الطيبة .

ومن ذلك في وصف :

### 38 - أبي القاسم بن رضوان

أديب أحسن ما شاء ، وفتح قلبه قلبه فملاً الدلو بل الرشاء ،  
وعانى في حدائته الشعر والانشاء . وله ببلده بيت معمور ، يفضل  
وأمانة ، ومجد وديانة ونشأ هذا الفاضل على أتم العفاف والصون ، فما  
مال الي فساد بعد الكون . وله خط بارع ، وفهم الي الغوامض مسارع ،  
فقد أثبت من كلامه ، ونفثات أقلامه ، كل محكم العقود ، زارا بليغة  
العنقود .

ومن ذلك في وصف :

### 39 - أبي جعفر بن صاحب الصلات

محسن لا ينازع احسانه ، وبلغ لا يساجل لسانه ، وكفى يتوقد  
فهمه ، ومجيد يصيب كل غرض بسهمه . فما شئت من ادراك ماضية  
نصوله ، وذكاء علت فروع وطابت أصوله ، ( 87 : أ ) وطرف كالروض  
لما اعتدلت فصوله ، وأدب شدت معاقده ، فلا يطمع فيه ناقد .

جالسته في بعض التوجيهات الي مالقة - حرسها الله - فرضت  
روضا تعطر وتأرجح ، ومر به نسيم دارين (46) يتأرجح . فلما ظفرت  
بجناه الطيب ، وقعدت تحت عمامة الصيب ، تركت خبزه لعيانه ، وخطبت  
نبذة من بيانه ، فأنشدني ما يذكر .

---

(46) دارين . موضع بالبحرين في الخليج العربي ، يجلب اليه السمك من الهند ،  
وينسب اليها .

ومن ذلك في وصف :

#### 40 - أبى بكر بن مقاتل

تابعة مالقية ، وخلف ممن ترك الادباء وبقية ، ومغربى الوطن  
اخلاقه مشرقية . اشتهر بالاجادة بين أصحابه ، وتآلق البارق خلال  
سحابه حتى اشتهر احسانه ، ومضى عند الشعر لسانه . ثم أزمع  
الرحيل الى المشرق ، مع اخضرار العود وسواد المفرق ، وسهم القدر  
لا يخطى ، ومن استحثه الاجل لا يبطى . ولما توسطت السفينة اللجج ،  
وقارعت الثبج ، هال عليها البحر فسقاها كأس الحمام ، وأولدها قبل  
التمام . وكان رحمه الله فيمن اشتهلت عليه أعوادها ، وانضم على نوره  
سوادها ، من الطلبة والادباء ، وابناء السراة الحسناء . أصبح كل منهم  
مطيعا ، لداعى الردى سميعا ، وأحبوا فرادى وماتوا جميعا . غملاوا  
القلوب حزنا ، وأرسلوا العبرات مزنا ، وكان البحر لما طمس سبل  
خلاصها وسدها ، وأهال هضبة سفينتهم وهدها ، غار لدرهم النفيسة  
فاستردها .

والفقيه أبو بكر - مع اكثاره ، وانقياد نظامه ونثاره - لم أظفر  
من أدبه الا باليسير التافه ، بعد وداعه وانصرافه .

ومن ذلك في وصف :

#### 41 - المؤمن أبى الحجاج بن مرزوق

( 88 . أ ) خير استبق الى داعى الفلاح استباقا ، وانتهى الى  
القوم الذين هم في الآخرة أطول أعناقنا ، وان كانوا في الدنيا أضييق  
أرزاقنا . مردد أذكار ، ومسبح أسحار ، وعامر مؤذنة ومنار . كان

ببلده رندة — حرسها الله — مؤذنا بجامعها ، ومؤقتا بام صوامعها (47) ومعتبرا فيمن كان بها من فضلاء السدنة (48) وممن يشمله قوله « فكانما قرب بدنه » ، وكان له لسان مخيف ، وشعر سخيف ، توشح بحليته ، وجعله وسيلة كربته .

ومن ذلك في وصف :

## 42 — أبى الحسن ابن الجياب (49)

صدر الصدور الجلة ، وعلم أعلام هذه الملة ، وشيخ الكتابة وبانيها ، وهاصر أفنان البدايع وجانيها . اعتمده الرياسة فنأى بها على ذراعه ، واستعانته به السياسة فدارت أفلاكها على شباة يراعه . قتفياً للمعناية ظلا ظليلا ، وتعاقبت الدول فم تر به بديلا .

(47) يرمى المؤلف الى أن المترجم له كان مؤذنا بالمسجد الكبير الجامع بالمدينة .

(48) أصل السدانة . خدمة الكعبة أو بيوت العبادة ، والمراد هنا أنه كان لحد حجاب وخدمة المسجد .

(49) هو رئيس الديوان ، العلامة الاديب ، على بن محمد بن سليمان بن على بن

سليمان ابن الحسن الغرناطى الاتصارى ، يكنى أبا الحسن ، ويعرف بابن

الجياب . ولد بقرنطة في جمادى الاول 573 هـ ( نوفمبر — ديسمبر 1174 م ) .

درس العلم والادب على فطاحل العلماء وكبار الادباء ممن حفل بهم عصره ، فمن

مشايخه أحمد بن ابراهيم بن الزبير الثقفى ، ومن تلامذته المبرزين المشهورين

المؤلف نفسه ( ابن الخطيب ) . ويعتبر هذا الرئيس فى طليعة الكتاب والشعراء

الذين حفل بهم بلاط بنى الاحمر ، وخاصة السلطان أبا الحجاج يوسف الاول

( 733 — 755 هـ ) . ولم يقتصر شعره على المديح شأن بقية شعراء الملوك ،

وانما تجاوزه الى فنون الشعر الاخرى ، فأجاد التصرف فى مختلف المناسبات ،

كما أسهم بحظ وافر فى الاحاجى الشعرية ، حتى قال عنه تلميذه ابن الخطيب .

« ولم أر أحدا أحكم الانغاز مثل ما أحكمه ابن الجياب » . وقد نوه بالمترجم له

فى الميدان الشعرى — بعد ابن الخطيب — ابن حجر العسقلانى فى كتابه .

« الدرر الكامنة ، فى شعراء المائة الثامنة » مستشهدا ببعض أشعاره ،

من نذب (50) — على علوه — متواضع ، وجد لثدى المعارف راضع ،  
لا تمر مذاكرة في فن الاوله فيه التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على  
محكات ( 88 ب ) الافهام الا وكلامه الابريز (51) . حتى أصبح الدهر  
راوى احسانه ، وناطقا بلسانه . وغرب ذكره وشرق ، وتجاوز البحر  
الاخضر والخليج الازرق (52) . الى نفس هذبت الآداب شمائلها وجادت

التي اورد المقرئ جزءا منها غير يسير في « نفع الطيب » . هذا ، ولابن الجياب  
جولانه في صناعة الكتابة ، ويكفى شاهدا له تلك الرسائل التي دبجها قلمه  
— على لسان سلطانه ابي الحجاج — الى من عاصره من ملوك المسلمين  
والنصارى ، وما كان يسطره من المراسيم الملكية ، تلك التي جمع منها ابن  
الخطيب قدرا في رسالته المسماة « تافه من جم ، ونقطة من يم » ، كما وصفه  
ابن خدون بأنه « شيخ العدوتين في النظم والنثر وسائر العلوم الادبية » ، ولكن  
يبدو ان ابن الجياب كان أقصر باعا في النثر عنه في النظم ، مما جعل المقرئ  
يسجل عليه مثل هذا بقوله « ويظهر لى أن نظمه أعلى طبقة من نثره ، وعلى  
كل حال فهو لا يتكلف نظما ولا نثرا » .

تولى ابن الجياب منصب الكتابة للسلطان ابي الوليد اسماعيل ابن الاحمر ، ثم  
لابنه من بعده السلطان ابي عبد الله محمد الرابع ، ثم لاخيه السلطان ابي الحجاج  
يوسف الاول ، وخلال هذه الفترة ظل يتقلب في ديوان الإنشاء حتى ظفر برياسته ،  
وكان من زملائه وأعاونانه في الديوان الوزير عبد الله بن سعيد والد ابن الخطيب ،  
الذي استشهد في وتعة طريف الكبرى ( 741 هـ ) ، فخلفه في خدمة القصر ولده  
لسان الدين ، فقلده ابن الجياب منصب أمانة السر .

تولى ابن الجياب في محنة الوفاء الكبير الذي اجتاح الاندلس ضمن ما اجتاح من  
دول حوض البحر المتوسط ، وكانت وفاته في 23 شوال 749 هـ ( 14 يناير  
1349 م ) ، في العاصمة غرناطة حيث دفن بها رحمه الله .

راجع . المقرئ في « نفع الطيب » ج 7 ص 352 — 384 تحقيق الشيخ محي  
الدين عبد الحميد — القاهرة 1949 م . وكذا « يوسف الاول ابن الاحمر سلطان  
غرناطة » للمحقق ، ص 54 — 55 نشر لجنة البيان العربي بالقاهرة 1969 م .

(50) النذب . بتشديد النون مع الفتح وسكون الدال ، هو السريع الى الفضائل ، كما  
يطلق على الظريف النجيب ، والجمع منه ندوب وندباء .

(51) الابريز . الذهب الخالص .

(52) لعله يقصد بالاول . البحر المتوسط ، وبالتالي . الخليج العربي .

الرياضة خمائلها ، ومراقبة لربه ، وانتشاق لروح الله من مهبه . ودين  
لا يعجم عوده ، ولا تخلف وعوده .

ولكم ظهر علينا - معشر بنيه - شارة تجلى بها العين ، أو اشارة  
كما سبك اللجين ، فهي اليه منسوبة ، وفي حسناته محسوبة . فانما هي  
أنفس راضها بأدابه ، وأعلقها بأهدابه . وهذب طباعها ، كالشمس تلقى  
على النجوم شعاعها ، والصور الجميلة تترك في الاجسام الصقيلة  
انطباعها (53) ، وما عسى أن أقول في امام الائمة ، ونور الدياجي  
المدلهمة ! !

وقد أثبت من عيون قصائده - الذي علق الاحسان في مصائده -  
كل وثيق المبني ، كريم المجنى ، جامع بين حصافة اللفظ ولطافة المعنى .

ومن ذلك في وصف :

#### 43 - الكاتب أبي عبد الله اللوشى (54)

شاعر مفلق ، وحسيب معرق . طبق مفاصل الكلام بحسام ( 89 : أ )  
لسانه ، وقلد نحور الملوك ما يزر بجواهر السلوك من نحسانه ، ونشأ

---

(53) اشارة لطيفة ، ولفتة كريمة من المؤلف نحو أستاذه ، واعتراف بالفضل في  
صورة بلاغية رائعة .

(54) نسبة الى مدينة « لوشة » وهي بالاسبانية Loja تقع على بعد 55 كم  
غرب غرناطة ، وكانت احدى المدن الاندلسية الشهيرة ابان الحكم الاسلامي ،  
وقد استولى عليها الاسبان خلال حروب الاسترداد عام 891 هـ ( 1486 م ) قبل  
غرناطة بست سنوات تقريبا ، وهي الآن مدينة اسبانية متوسطة المساحة ،  
يقع بعض عمرانها بأعلا ربوة صخرية ، والبعض الآخر من المباني في منخفض  
الوادى ، وعلى مقربة منها بسيط مسيح من المزارع والحدائق يمتد حتى سفح  
الجبال القريبة منها ، ويخترق ( لوشة ) نهر شنيل من الشمال ، ويقدر عدد

في حصر الدولة النصرية (55) راضعا ثدى نعمائها ، ومستظلا  
بسمائها ، ومفضلا على مداحها ، وحائزا المعلى من قداحها . ولسلفه  
بخدمتها الاختصاص القديم ، والمزية والتقويم ، والمئات الى كريم ذمامه  
واستقر في يد الراعى زمامه . ونطق بالشعر قبل أن ينطق بالشعر  
خده ، فأتى منه ببحر لا يعرف الجزر مده .

وأما الطريقة الهزلية فهو فارس مجالها ، وامام رجالها ، ورب  
رويتها وارتجالها وله همة تذبذ من يباريها ، واخلاق تفتقر الى من يداريها .  
طولب — فيما فرط — بالحضور مع الكتاب ، وملازمة خدمة الباب .  
فتجنسى على عادته ، وتوعد باسقاط مرتبته ، فلم يرغب في اعادته . بل كبر

---

سكانها حاليا بحوالى 35 الف نسمة ، بينما كان سكانها — على عهد ابن  
الخطيب المولود بها — يجاوز هذا العدد بكثير كما تقول الرواية الاسلامية . هذا ،  
ولم يبق الان من الآثار الاسلامية بهذه المدينة سوى اطلال القصبه أو القلعة ،  
وبقايا بناء في باطنها يرجع انها كانت مسجدا ، وهو عبارة عن ثلاثة عقود على  
على صفيين ، ولكن لا تشتمل على أية نقوش أو كتابات ، ويسمى هذا المكان  
بالجب ALGIB ، وتقع الكاندرائية على مقربة من القصبه وغوق المسجد  
القديم ، استنادا الى التقليد العام للسياسة الاسبانية ، التى كانت تقيم  
الكنيسة المعظمى في كل بلد مفتوح على انقاض المسجد الجامع ، ومن المعروف  
ان المسجد الجامع كان يتبع وسط المدينة دائما ، ويدعم هذا ان الكاندرائية تحتل  
اليوم وسط المدينة . وتجدر الإشارة أخيرا الى أنه — حتى هذه اللحظة — لم  
يعثر عالم أو مؤرخ على أى اثر يتعلق بحياة الوزير ابن الخطيب في هذه المدينة ،  
— وهى مسقط رأسه — أو حتى موقع بيته ، لطول العهد ومرور السنين الطوال .  
راجع . نفس المصدر السابق ص 58 — 59 .

(55) آخر دولة اسلامية تقلدت الحكم بالاندلس ، وتعرف أيضا بدولة بنى الاحمر ،  
كانت عاصمتها غرناطة ومؤسسها هو أول ملوكها الغالب بالله امير المؤمنين  
ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن خميس ابن نصر بن قيس الخزرجى  
الانصارى ، وذلك عام 1238 م ، وكان آخر ملوك هذه الدولة ابو عبد الله محمد  
الاخير ، حيث سقطت غرناطة على عهده بالتسليم في يد الملكين الكاثوليكيين  
فرناندو وايرابيللا في 2 يناير 1492 م وهكذا انحسر المد الاسلامى عن اوربا منذ  
ذلك الحين ، بعد ان عبرت الدولة الاسلامية في الاندلس زهاء ثمانية قرون  
راجع . المصدر السابق ص 19 — 21 .

على الخدمة أربعا وسلم ، وما ارتمض لها ولا تألم . وعكف على إقامة أوده ، بانتجاع غلة بظاهر بلده ، بأشرها بنفسه ، وجعلها معنى راحتته ومعنى أنسه ، واتخذها وقاية لماء وجهه ( 89 . ب ) الى أن يحل في رسمه .

وهو من أهل الوفاء وحفظ العهد ، المشاركة في أرخاء والجهد ، والانقباض عن هذا الغرض والزهد . الى حسب تطرزت الدفاتر بآثاره وتضوع الحبر مسكا بأخبار أخباره . وشعر بلغ في الاجادة الغاية ، ورفع للمحسنين الراية .

ومن ذلك في وصف :

#### 44 - أبى بكر بن الحكيم

ماجد أقام رسم المجد بعد عفائه ، وأيقظ طرفه بعد اغفائه . محله محل ضيفان ، وقرع جفان . ومنهل وارد ، وفطنة ضال من العلاء وشارد . مثواه لا يخلو من قرى جزيل ، لقاصد أو نزيل . الى غير ذلك من التحلى بحلية الآداب ، والمبادرة الى اكتساب المعلومات والانتداب .

برز في علم الحديث وروايته ، واجتنتى ثمرة رحلة أبيه وهو في حجر دابته ودون - الآن - الفهارس ، وأحيا الاثر الدارس . وارتنقى من الكتابة الى المحل النبويه ، واستحق رتبته من ميراث أبيه ، فأينع روحه وتاطر (56) ، وأرج ( 90 . أ ) وتعطر .

وله شعر أنيق الحلية ، جاز في نمط العلية (57) . وسيمر - في أثناءه - ما يدل على قدره ، ويشهد بسعة صدره .

(56) تاطر . تثنى .

(57) نمط العلية . هيئة كبار القوم .

ومن ذلك في وصف :

#### 45 - أبي جعفر بن صفوان المالقني

فارس البلاغة المعلم ، وحجة الادب التي تسلم . والبطل الذي لا ترد شبة يقدده ، ولا تحل مبرمات عقده . من جهذ راض صعب البيان وسانسها ، وميز أنواعها وأجناسها ، وأحكم ضروب العبارة ونظم قياسها . فأحل الاسود عرينها والظباء كناسها . الى ذهن يأتي الغوامض فتتبلج ، ويقرع أبواب المعميات فيلج ، وهمة يود فرقد السماء وسهاها أن يبلغ منتهاها . أخذ من العلوم بنصيب ، ورمى في أغراض التعاليم بسهم مصيب . فركض في مجالها ، ورحل الى لقاء رجالها . ودعى لاول أمره - للكتابة لما اشتهرت براعته . فأجاب وامثل ، وراش (58) سهام بيانه ونثل (59) .

ثم كر والدولة قد جفت ( 90 . ب ) منها القواعد ، وأنجزت بادالتها المواعد . فاصطنعته الدولة الاسماعيلية (60) بجانبها ، وقلد سر كتابها ، والهيحاء تدور رحاها ، والامور لا يتبين منحاهها . فلما وضعت

(58) راش السهم . الصق به الريش .

(59) نثل الكنانة . استخرج نبالها فنثرها .

(60) نسبة الى السلطان أبي الوليد اسماعيل الاول بن فرج ابن نصر ابن الاحمر ، تولى السلطة في غرناطة في شوال 713 هـ ( ابريل 1313 م ) وفي عهده قويت حركة الجهاد بالاندلس ، اثر متابعة القشتاليين غزواتهم ضد مملكته ، حتى حقق نصرا ساحقا عليهم ، ولكن لم يمض على هذا الانتصار سوى فترة وجيزة ، حتى قتل السلطان عقب عودته الى غرناطة بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة ، قتله غدرا لاسباب شخصية في 26 رجب 725 هـ ( 7 ديسمبر 1324 م ) .

راجع . ابن الخطيب في « الاحاطة » ج 1 ص 397 ، واللحة البدرية ص 71 - 74 ثم ابن خلدون في « العبر » ج 4 ص 172 ، ج 7 ص 250 . ط القاهرة 1284 هـ .

الحرب أوزارها ، وخفضت الامور زارها ، اثر الرجوع الى وطنه ، وأجر هداه في ذلك فضل رسنه . وضلت الخدمة عنه فما نشدها ، وقصر نفسه على ما يقيم أودها . ولم يثن بعد الكر عنانه ، ولا أعمل في خدمة ملك بنانه . وكل ما صدر عنه — من نظم تروق أسرته ، وتتشوق اليه تيجان الملك وأسرته — فالتصوف مجاله ، وفي غرض رويته وارتجاله .

ومن ذلك في وصف :

#### 46 — أبى اسحاق ابن زكرياء (61)

حامل لواء الخط ، والمنفرد بأحكام المثلث والقط ، ومن تفتقر الى بنانه المخاطبات السلطانية افتتار المشروط الى الشرط . شديد التحفظ ، مقدر للكلام خير التلفظ عظيم البشاشة والبر ، أمين على السر . ( 91 . أ ) الى نفس جبلت على الخير ، وأخلاق حسنة السيرة رفيعة السير ، وحياء كثف جلبابه ، وسد في وجه النية بابه . وكلف بالعلم وأوضاعه ، والتطلع على رقاعه . وبكفيه — فضلا لا تخبو ناره ، ولا يخفى مناره — ما خلد من كلام شيخ الجماعة ، وعلم الصناعة ، فقد أودعه بطون الاوراق ، وجمعه بعد الافتراق وأطلع نوره بادي الاشراق ، وألبس الايام به حلا أبهى من حلل صنعاء العراق .

والشعر — وان كان قليلا ما يعنى باجادة صناعته ، ومعاناة بضاعته — فحظه منه لطيف الهبوب ، حسن الاسلوب .

(61) هو الشيخ ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن زكرياء ، من مشاهير قضاة الاندلس ، عرف عنه فعل الخير والانتفاض عن الناس . قرأ على ابيه ، ثم على الاستاذ أبى جعفر بن الزبير ، وأخذ بنسبته عن أبى اسحاق الغافقى ، كما لازم أبى قبيد الله التونسى صونى العصر ونظيره في هذا المذهب كأبى جعفر ابن الزيات وأبى الطاهر بن صفوان وغيرهما ، وقد اشتغل بالكتابة في السدار السلطانية فترة من الزمن ، كانت ولادته في الثالث والعشرين من شهر شعبان من عام 751 هـ .

ومن ذلك في وصف :

#### 47 - أبى اسحاق بن الحاج

طلع شهابا ثاقبا ، وأصبح بشعره للشعرى مصاقبا (62) . فنجم وبرع وتمم المعانى واخترع . وكلف بالادب وهو غلام يافع ، وله من الحسن - لكل قلب - شافع . فأترع كاسه ، ونضد ريحانه وأنسه ، ونبه للصبوح - من بعد الكر - أناسه . ولم يزل دوحه يتأرجح ، وعقائله شائعة تتبرج ، ( 91 : ب ) حتى دعى للكتابة ، وترشح لتلك المثابة ، يطرز المعارف بمرقوم أقلامه ، ويشنف المسامع بدرر كلامه .

وأزعم الرحيل لما خاف على بضائعه الضياع ، فركب الفلك وشرع الشراع ، فحج وزار ، وشد للطواف الأزار . ثم هفا الى المغرب وحوم ، وقفل قفول النسيم عن الروض بعدما تلوم ، فاستقر بعد ( فسى ) ظلال الدولة الموحدية ، فحط بها على نار القرى ، وصمد عندها صباح السرى . ثم لم يلبث أن تنقل ، ووجد الجميم فعاقه وتبقل . وهو الآن في جملة كتاب المغرب ، حساما في البلاغة دامى المضرب .

أخذ من العلوم بنصيب ، ورمى في أغراض التعاليم بسهم مصيب .

ومن ذلك في وصف :

#### 48 - أبى القاسم بن قطبة

سابق ركض فجلى ، وشارق طلع فتجلى ، وفاضل تحلى من الخلال البارة بما تحلى . أتى من أدواته بالعجائب ، وأصبح صدرا في الكتاب

(62) الشعرى . الكوكب الذى يظهر في الجوزاء ، ويبدو واضحا في شدة الحر .  
والمصائب . الملاصق المجاور .

وشمسا في الكتائب . وكان أبوه — رحمه الله — بهذه البلاد (63) قطب أفلاكها ، وواسطة أسلاكها ، ( 92 : أ ) وموتم أملاكها ، وصدر رجالها ، وولى ربات حجالها ، لصدق يقينه ، ومحافظة على أركان دينه . قد نثل بينه سهما سهما ، فخبره براعة وفهما ، وألفاه بينهم ماضيا شهما . . (64) منه نجيبا ، ودعاه الى الجهاد فألقى منه سميعا مجيبا . فصحب السرايا المغيرة ، وحضر من الوقائع الكبيرة والصغيرة ، وبأثر الحرب وبأسها ونازع ذلك الشرب كأسها ، على مصاحبة البعوث ، وجوب السهول والوعوث ، فما رفض اليراعة للباتر ، ولا ترك الدفاتر للزمان القاتر .

ولم يزل يبهر بأدواته ، وينتج البدائع بين قلمه وأدواته ، فان خط فاخر ببراعته للخط الى خلق سلس المقادة ، ونفس للمكارم منقادة . وأدب بديع المقاصد ، قاعد للمعاني بالمراد . واستأثرت به الكتابة السلطانية فشعشع أكواسها وعاطاها ، وكان من تلك القلادة الرفيعة وسطاها . وله همة يحسدها فرقد الافق وثرياه ، وكتابة تنازع الروض طيب ربساه .

ومن ذلك في وصف :

#### 49 — أبى بكر القرشى

قريع مجد وحسب ، متقدم — على تأخر زمانه — بذات ومنتسب ، من دوحة الشرف التي لا يذوى نضيرها ، ونبعة الديانة التي لا يغيص نميرها . اذا ذكر الصالحون . . (65) بعمره ووالده ، وأكرم بطريفة وتالدة . أصبح لعبة الطرف ناسما ، فلا تراه الا ضاحكا باسماء . الى

(63) الاشارة الى الاندلسى .

(64) محو في الاصل . وفي نسخة اخرى « قد مر » مكان المحو .

(65) محو في الاصل . وفي نسخة اخرى « بحى هلا » مكان المحو .

حلاوة الضرائب والشمائل ، والادب المزرى بأزهار الخمائل . فما شئت من مداعبة تتمزج بالنفوس ، ومجاورة تترى بالكؤوس ، وأدب عذب مذاقه ، اعترف به فرسان الكلام وحذاقه ، ومعان جاءت من السهولة بما تقتضيه أخلاقه ، وعفاف صفت أذিয়اله وطرف صفت جرياله .

ومن ذلك في وصف :

### 50 — أبى عبد الله بن جزى (66)

فرع محل بسق ، وثاقب طلع فجلى الغسق . وأديب قرع من الادب كل شاهق ، وحدث عما بين عاد وبينه وصدغاه في خدى غلام مراهق . فند أقرانه وأترابه ، وأجال ( 93 : أ ) في ميدان الفنون غراته . فأصبح نادرة أوانه ، وواسطة عقد اخوانه . فهو النبيه الذى قل له الشبيه ، والوجيه الذى قصر عن لحاقه الوجيه (67) . اذا ذكرت الغرائب قال : أنا لها ، ولو تعلقت الغوامض بالثريا لنالها . الى خلق أعذب من

(66) هو الكاتب أبو عبد الله بن جزى الكلبى ، ولد بفرناطة في شوال 721 هـ ( يناير 1321 هـ ) ، وتولى منصب الكتابة في ديوان سلطان فرناطة أبى الحجاج يوسف الاول ( 733 — 755 هـ ) فترة من الوقت ، فحاز اعجاب معاصريه من الادباء ، وله مدائح في هذا السلطان ومعاصره بالمغرب أبى الحسن المرينى . وقد ظل في هذا المنصب حتى دس له اعداؤه عند أبى الحجاج ، الذى أقصاه بعد تعذيبه ، فشد رحاله عن الاندلس الى المغرب ، حيث التحق بديوان الكتابة في البلاط المرينى لدى السلطان أبى عنان فارس ، حتى وافاه أجله في 29 شوال 758 هـ أكتوبر 1356 م ، حيث دفن بفاس . ويعتبر ابن جزى — فوق صناعته الادبية — من العلماء الامتاز ، بما شهر عنه في علوم اللغة والتاريخ والحساب ، بشهادة الامير اسماعيل ابن الاحمر في كتابة « نثير فرائد الجمان » .

راجع : المقرئ في « نفع الطيب » ج 8 ص 40 — 42 ، ثم « يوسف الاول ابن الاحمر » للمحقق ص 57 ، ونثير فرائد الجمان ، ص 292 — 307 ( بيروت 1965 ) .

(67) اراد بالوجيه الاول : سيد القوم ، وبالثانى : الفرس المبادر .

الضرب (68) ، وأسمى من بلوغ الارب ، ونبل لا تطيش نباله عن  
غرض ، وذكاء يكشف كل مشكل مهما عرض .

وله أدب تود العقود محاسن شذوره ، وتقتصر الصدور عن اعجازه .  
وصدوره ، وتتضاءل أهلة المعانى عند طلوع بدوره .

ومن ذلك في وصف :

### 51 - أبى العلا بن سماك

كاتب ماشق ، وأديب لريح الادب ناشق . ذو طبع سائل ، وكلف  
بالمسائل ، فلا يفتر عن تقييد ونقل ، وجلاء للفوائد وصفل . كتب مع  
الحلبة فأحكم الخط وأتقنه ، وتلقى السجع وتلقنه . وأنشد الشعراء  
فأجرى بغير الخلاء ، وجعل دلوه في الدلاء .

وله بيت معمور في القديم ( 93 . ب ) بصدور قضاة ، وسيوف في  
الدين منتضاة . ولم يزل منتظما في السلك ، ومرتسما في كتاب الملك .  
الى أن عضه الدهر بنات خطوبه ، وقابله بعد البشاشة - بقطوبه ،  
فتأخرت - في هذه الايام - جرايته ، ونكصت - على العقب - رايته .

وقد أثبت من شعره ما يشهد باجادته ، وينظمه في فرسان الكلام  
وقادته .

---

(68) الضرب : بتشديد الضاد وفتحها مع الراء ، العسل الابيض .

ومن ذلك في وصف :

52 — محمد بن عبد الله بن الخطيب . رحمه الله

### ( المؤلف )

ان خلطت العذب بالاجاج ، ونظمت مخيلتى بين در هذا التاج ، فلم أبغ تعريفا ولا تنبيها ، ولا اعتدت أن أقرظ نفسي وأزكيها . ولكنى بأوت نفسي (69) . عن مفارقة أبناء جنسى . فزاحمتهم في أبواب هذه الآداب ، وقنعت باجتماع الشمل بهم ولو في الكتاب .

ولما رأيت حلهم الموشية الطرر ، وحلاهم الواضحة ( 94. أ ) الشياة والغرر ، نافستهم منافسة الاكفاء في حلة تزين منكبي ، وراية تتقدم موكبى . فجلبت فضلا حلانى به رئيس الصناعة ، وامام الجماعة (70) ، في بعض المنشورات السلطانية ، البسنى به الشرف ضافى الاردان ، وتركتى معلم ذلك الميدان . وهوى ظهر أثر اعتقاده الجميل فيه ، وفتح له أبواب القبول والتنويه — تشرع الى الغر الوجيه ، والقدر النبيه ، ورعى له وسائلها التى كرمت معانيها ، وعذبت مجانيها ، وتأسست على قواعد البلاغة مبانيها . وعرف ماله من الاصاله التى تميز فى اعيانها ، وبراعة الادب التى أحرز خصل رهانها ، وتلقى باليمين راية فرسانها .

ولما اختصه بالتقريب والايثار ، واعتمده بولايات ملكه الكبار ، وقربه فى بساط ملكه حماية وعناية ، وأطلع من آيات السعادة آية ، وابتدأ بالخطط التى هى لغير غاية — رأى أن يستعمله فيما هو لديه

(69) أراد الا ينسلخ عن قرنائيه .

(70) يقصد به « الشيخ الرئيس أبا الحسن على ابن الجباب » رئيس ديوان الانشاء فى البلاط النصرى ، والذى تقدمت الترجمة له من المؤلف .

أهم موقعا ، وأعز موضعا . ( 94 . ب ) وأن يجمع له الكتابتين انشاء وديوانا ، ويطلع له وجوه الرعاية غرا حسانا . فحسبى ما خلد لى بذلك من مجد ، وقلدنى من فخر أشهر من نار على نجد .  
وأما شعرى ونثرى فقد أثبت منه — بعد سؤال الاغضا ، والنظر بعين الرضا — ما تعلق بالذكر ، واحتجب بحجاب الضمير من بنات الفكر .  
ومن ذلك فى وصف :

### 53 — أبى جعفر بن خاتمة (71)

ناظم درر الالفاظ ، ومقلد جواهر الكلام نحور الرواة ولبات الحفاظ ، ذو الادب الذى أضحت شوارده حلم النيام وسمر الايقاظ ، تمكن فى

(71) هو الشيخ أحمد بن على بن محمد أبو جعفر الاتصارى . ولد بمدينة المرية عام 734 هـ ( 1333 م ) وتضى شطرا هاما من حياته استاذا بمدرسة غرناطة ، واشتغل بالتاليف ، فمن مؤلفاته رسالته « مزية المرية على غيرها من البلاد الاندلسية » ولم تثنه مشاغله العامة عن قرض الشعر ، فمن قوله فى الحكم :

هو الدهر لا يبتى على عانذبه      فمن شاء عيشا يضطر لنواتيه  
فمن لم يصب فى نفسه فمصابه      بفوت امانيه وفقد جبابيه

وتجدد الاشارة — فى هذه المناسبة — الى ان ابن الخطيب حينما فكر فى مغادرة الاندلس ذات مرة كتب الى صديقه « ابن خاتمة » رسالة رقيقة ، يستعطفه بها أن يعدل عن هذه الفكرة ، ويقول له « انكم بهذه الجزيرة شمس افنتها ، وتاج منفرتها ، وواسطة سلكها وطراز ملكها ، وقلادة نحرها وفريد دهرها . وعقد جيدها المنصوص ، وتمام زينتها على المعلوم والمخصوص . ثم انتم مدار انلاكها ، وسر ساسة املاكها ، وترجمان بيانها ، ولسان احسانها ، وطبيب مرستانها ، والذى عليه عقد ادارتها ، وبه قوام امارتها » فاجابه ابن الخطيب برسالة مؤثرة كذلك .

توفى « ابن خاتمة » عام 770 هـ ( 1369 ) ودفن بمسقط رأسه المرية .

راجع : ابن الخطيب « الاحاطة » ج 1 ص 247 — 267 ، تحقيق « عنان »  
ثم المقرئ فى « ازهار الرياض » ص 265 — 270 ، حيث يورد كلا المؤلفين هاتين الرسالتين كاملتين .

بياض طرسه وسواد نغبته سحر اللحاظ . رفع بقطره راية هذا الشأن على وفور لبته ، وجدع قمة البيان على سمو هضبته ، وفوق سهمه الى نحر الاحسان فأثبتته في لبته . فان أطال شأى الابطال (72) ، وكأثر المنسجم الهطال . وان أوجز فضح وأعجز ، فمن نسيب تهيج به الاشواق ، وتضييق عن زفراته ( 95 . أ ) الاطواق . ودعابة تقلص ذيل الوقار ، وتزرى بأكواس العقار . الى انتماء للمعارف ، وجنوح الى ظلها السوارف .

ولم تزل فضائله بتلك البلدة (73) تنفسح آمادها ، حتى تنافس فيه قوادها ، فاتخذوه كاتب أسرارهم ، وترجمان أخبارهم .

وقد أثبت من مقطوعات شعره ، ونفثات سحره ، ما يستأثر السامع ، ويقرط المسامع .

ومن ذلك في وصف :

#### 54 — أبى عبد الله بن بقى

مدير لأكواس البيان المعتق ، ولعوب بأطراف الكلام المشقق . انتحل — لأول أمره — الهزل من أصنافه ، وجنى ثمرة الابداع لحسن قطافه . ثم تجاوزه الى المغرب وتخطاه ، فأدار كأسه المترع وعاطاه . فأصبح لفنيه جامعا ، وفي فلكيه شهابا لامعا . وله ذكاء يطير شرره ، وادراك تتبلج غرره . وذهن يكشف الغوامض ، ويسبق البارق الوامض . وعلى ذلاقه لسانه ، وانفساح أمد احسانه ، شديد الضنانة يشعره ، مغل لسعره . أجاب ( 95 : ب ) أحد الادباء ممن خطب أدبه ، واستدعاه للمراجعة وندبه .

(72) شأى الابطال : سيقهم .

(73) المريسة .

ومن ذلك في وصف :

## 55 – أبى على حسن بن عبد السلام

فارس براعة بارعة ، ورب بديهة مسارعة . لآك الكلام وعلكه ،  
واستحق الاحسان وملكه ، وأدار على قطب الاجادة فلكه ، وساعده الدهر  
فتحرى طريق الشرف وسلكه . ولم يزل القدر يساعده ، والتدبير ينوء  
به ساعده ، حتى تجلت بالثراء حاله ، وعظم جاهه وماله . ولما تقلبت  
الفتنة بدولته ، وعجمت عود صولته – اثر الرحيل ، وفارق ربه المحيل .  
واستقر بحضرة تونس يروم الوجهة الحجازية ، وقد تبرأ من قول  
الشاعر :

« وما أنا الا من غزية »

فاتاد بها حمامه ، وانقضت – دون أهله – أيامه .

وله أدب غض الجنا ، أنيق اللفظ والمعنى ، على قصر باعه ، وقلة  
انتجاعه .

ومن ذلك في وصف :

## 56 – أبى الحسن بن الصباغ

اللسن العارف ، والناقد لجواهر المعانى كما تفعل بالسكة  
( 96 . أ ) الصيارف . والاديب المجيد ، الذى تحلى به العصر والجيد .  
ان أجال جياذ براعته فضح فرسان المتهارق ، وأخجل بين بياض طرسه  
وسواد نفسه الطرر تحت المهارق . وان جلى أفكار أفكاره ، وأثار طير

البيان من أوكاره - سلب الرحيق المقدم (74) . ذو همة لا يرتد لها طرف ،  
واباية لا يفل لها غرب ولا جرف .

وفي هذه الايام دعاه شيخ الغزاة (75) الى كتابة سره ، وقام  
بواجب بره . وله أدب غض ، وزهر - على مجتتيه - مرفض .

(74) المقدم : بضم الميم وتشديد الدال ، الشيع حرة .

(75) هو القائد يحيى بن عمر بن رحو بن عبد الحق أبو زكريا . ولد بظاهر تلمسان  
عام 691 هـ ( 1288 م ) يتصل نسبه بملوك بنى مرين ، ولى مشيخة الغزاة  
بالاندلس ( قيادة الجيش ) مرتين . أولهما قبل هلاك الوزير ابن المحروق في  
عهد السلطان محمد الرابع ، والآخرى بعد أن نكب السلطان يوسف الاول  
أسرة القائد السابق الشيخ ابن ثابت ، وقبض على هذا الأخير ، ثم نفاه الى  
أفريقية ( تونس ) . ومن صفات الشيخ أبي زكريا شدة البأس والمرونة وعراقة  
النسب والدهاء والنوعى للامور في عمق ، والتفانى في العمل لصالح الاسلام  
والعرش النصرى ، رأس قبيلته ، والبحاثة عن الاخبار ، والخبير بالانساب ،  
وذو الدراية بالسنن قومه ، يعى الكثير من الحكم والتاريخ ، عفيف لا تناله  
الالسن الا مدحا ، ولا ينازعه المنصب مناس .

كانت ولايته للقيادة ورئاسة القبيلة اواسط شهر صفر 727 هـ ( 9 يناير 1327 م )  
بادئ ذي بدء ، واستمر بها حتى 7 محرم 729 هـ ( 4 ديسمبر 1327 م ) ،  
حيث بقى معزولا ، الى أن أعاد اليه رتبته كقائد السلطان يوسف الاول في يوم  
29 ربيع الاول 741 هـ ( 22 سبتمبر 1340 م ) وظل في منصبه حتى نهاية  
عصر هذا السلطان ، ثم جدد له ولده الغنى بالله محمد الخامس القيادة ،  
وضاعف حظوته ، ونوه رتبته .

وقد بقى هذا القائد في منصبه حتى أوائل شهر رمضان 762 هـ ( يونيه 1361 م )  
حيث فر الى قشتالة في ظروف خاصة لاجئا سياسيا لفترة من الوقت ، ثم عاد  
الى الاندلس متمتعا بسابق حظوته لدى الغنى بالله بعد استرداده لملكه ،  
ولكن السلطان قبض عليه وعلى ابنه عثمان يوم 13 رمضان 764 هـ ( 1363 م )  
وسجنهما بقصبة « المنكب » ، ومن ثم نفاه الى أفريقية ، ومنها التحق بفاس  
التي قضى بها أخيرا .

راجع : ابن الخطيب في « الاحاطة » نسخة جاييجوس بالاسكوريال 1673  
لوححة 339 - 400 من المخطوط .

ومن ذلك في وصف :

### 57 - أبى عبد الله الطراز

روضة أدب وظرف ، لما شئت من حسن وعرف . أشرقت ذكاء  
لفرط ذكائه ، وتضوعت آدابه تضوع الروض غب سمائه . الى حلاوة  
الخلائق والضرائب ، والشيم الحسنة والمعاني الغرائب . تترتاح الى  
مجالسته المحاضر ، ويرف من أفنان فكاوته الزهر الناضر . فما شئت  
والمشاركة في كثير من الفضائل .

من توقيع رفيع ( التقدير ) ، وتندر بالاصابة جدير ، ولطافة الشمائل  
وله ( 96 . ب ) نفس تطمح الى بلوغ المعالى ، وفكرة تحوط حل  
البدائع في الطراز العالى . وأدب كالروض باكرته السحائب ، وحملت  
أرجه الصبا والجنائب .

وقد أثبت من شعره كل عطر الندسيم ، سافر عن المحيا الوسيم .

ومن ذلك في وصف :

### 58 - أبى جعفر بن داود الوادى آشى (76)

شيخ العمال المؤتمن على الجباية والمال ، المستوفى شروط الفضل  
على الكمال . تواضع - رحمه الله - مع العلو ، ولبس شعار السكون

---

(76) نسبة الى مدينة وادى آشى Guadex ، تقع شمال شرق غرناطة  
على نهر فردس ، وتبعد عن غرناطة بنحو 55 كيلومترا . اشتهرت في العصر  
الاسلامى بمعادنها وخصوبتها وصناعاتها ، كما تمتاز بطقس ممتاز على مدار  
العام ، وهى المدينة التى نفى اليها آخر ملوك الاندلس قبل أن يرحل نهائيا  
الى المغرب .

راجع : الحميرى فى « الروض المعطار » ص 192 - 193 ، نشر ليفى  
بروفنسال ( ليدن 1938 م )

والهدو ، وبذل المجاملة للصديق والمسالمة للعدو . ولازم مجالس  
الملوك بحيث يضر وينفع ، ويحط ويرفع . فما شاب بالاساءة احسانا ،  
ولا أعمل - في غير المشاركة - لسانا . الى غير ذلك من الادب العطر  
النسيم ، السافر عن المحيا الوسيم . واشتهر بالوفاء اشتهار دارين  
بطبيها ، واياذ بخطيبيها (77) ، فكان حامل رايته ، ومحرز غايته .  
ومضى لسبيله فقيدا أعم بفقد وخص ، وهاص أجنحة الحاجات  
وقصص .

وله أدب يصيب شاكلة ( 97 . أ ) الرمي بنباله ، ونظم تضحى  
المعاني قنائص حباله .  
ومن ذلك في وصف :

## 59 - أبى عبد الله بن حسان

كاتب اثناء وديوان، و صدر حفل وايوان . وفارس يراعة، وروض  
أدب وبراعة . يملى الرسائل لا يجف مدادها ، وينظم القصائد لا يعيبه  
امتدادها ، ويجبر الرقاع ويوشئها ، ويصور المعاني وينشئها ، ويدبج  
برود البدائع ويطرز حواشيها . الى خط تهيم اللاحاظ بالتماح  
سطوره (78) وتغار الرياض بمسطوره .

- (77) هو قس بن ساعدة الايادى خطيب الجاهلية المعروف ، ومضرب المثل فى  
البلاغة والحكم والمواعظ كان يؤمن بأن هناك الاها من وراء آلهة قومه ،  
واستشعر التوحيد فى مناسبات عرفتها المؤرخات عن فترة الجاهلية قبل  
بزوغ فجر الاسلام .
- (78) لمع والتمح البصر : امتد الى الشئ ، ولمح الرجل الشئ ، أبصره بنظر  
خفيف أو باختلاس النظر ، ولمح الشئ بالبصر : صوب بصره اليه ، وهو  
المراد فى النص .

وأبوة ومجادة ، وبيت أمطره الفضل وجاده . وأنجبت منه أبوة صاحب الاشغال — رحمه الله — خلفا سد مسده ، وتجاوز في السر وماجده .

ولم تزل الاسماع تخطب بدائعه ، وأسواق الاسواق تغلى بضائعه ، حتى أصبح فردا في أترابه ، وفذا في أغرابه . وله نفس عذرية الشمائل ، ولسان هام بزهر الرياض وظلال الخمائل ، وطبع الى شيم الرصافة والجسر (79) مائل .

ومن ذلك في وصف :

### 60 — أبى عبد الله بن مصادف الرندى (80)

(97 . ب) من شيوخ الطريقة العملية ، ومنتحلى الصناعة الادبية . كان — رحمه الله — مجموع ظرف ، ومسرح كل طرف ، من خط بارع ، وأدب — الى دواعى الاجادة — مسارع .

ولما صار أمر رندة — كالأها الله — عند اشتعال الحرب ، وتوالى الضرب — الى ملك المغرب (81) قلده أعمالها ، وجعل الى نظره مالها . ثم نقل الى بعض الولايات ببر العدو وبها قضى نحبه ، وفارق صحبه ، بعد معاناة خطوط ومعاشرة صروف من الدهر وضروب .

وله أدب طاب وتأرج ، وعطف على رسوم الاجادة وعرج ، ومعان تتحلى بحلى العذارى وتتبرج .

(79) يشير الى قول الشاعر :

عيون المهابين الرصافة والجسر      جلبن الهوى من حيث أدرى ولا أدرى  
ولابن البار أيضا في وصف « بلنسية » غناء بالرصافة والجسر .

(80) نسبة الى مدينة رندة ، وقد سبقت الإشارة إليها في مناسبة أخرى .

(81) هو السلطان أبو الحسن على المرينى .

ومن ذلك في وصف :

## 61 - أبى اسحاق بن جعفر

شيخ توقيعه نادرة، وفكاهة واردة وصادرة . ونظم أنيق الديباجة، لطيف الزجاجة ، عطر النفحة عذب المجاجة . وظرف لا يذوى دوحه ، وأدب تأرج روحه .

وقضى - رحمه الله - وقد خلف عقيما نجيبا ، وأبقى من ابنه أبى جعفر مستمعا للفضل مجيبا . جاز في الاحسان طلقة ، وحاسن ( 98 . أ ) فلكة .

وقد أثبت من شعره ما يقر بوفور مادته واستقامة جادته .

ومن ذلك في وصف :

## 62 - أبى جعفر

كاتب حساب ، ومنتسب للآداب أى انتساب . ان فكر ورى فأعمل ، وان ابتدر وارتجل أولد البدائع وانتحل . وله منطق ان حاول الصعاب فيلينها ، ويتناول الغوامض فيبينها ، ويجلو كل ساحرة الالباب بروق جبينها . ويوسع المحاضرة امتاعا ، ويمد فيها خطوا وساعا .

وقد خطب من بيانه لهذا المجموع ، ولم أقف منه عند نبـرة المسموع . لكنى اجتزأت منه بما تيسر ، وقنعت بما تحضر ، واكتفيت برائقة الأثير ، وأقمت قليلة مقام الكثير .

ومن ذلك في وصف :

### 63 - أبي الحسن البربري المالقي

شاعر ينفق في سعة ، وينطق وسط المجمعمة . ومطبوع لا يتكلف ،  
ومجيد اذا نهض البلغاء لا يتخلف . عانى النظم وزمنه كمثلته غلام ،  
ودهره تحية وسلام . ومدح فانثقع ، وشفع شعره للملوك فثفع . ولم  
يزل يتصرف في الاعمال ، ويقابل الاحسان والاجمال ( 98 : ب ) .  
وقد أثبت من شعره كل محكم العقد ، شديد الوطأة على النقد .

ومن ذلك في وصف :

### 64 - أبي القاسم بن مقاتل المالقي

من حسناء الطريقة وصدورها ، والمحاسن لتراثها العاطلة  
ونحوها .

كان - رحمه الله - هضبة وقار وسكينة ، وذا مكانة في الفضل  
مكينة . الى صدر سليم ومجد ضميم . وخلق عظيم السهولة ، وسمت  
خليق بسن الكهولة . ولسان مغرى بالذکر وتقلب بين الجد والشكر .

والى ذلك ، فكانت له دعاية صائبة السهم ، ونادرة يتنافس فيها  
أولو الفهم . ومجالسة طيبة وفكاهة غمامتها صيبة .

واستعمل في الولايات النبيهة (82) ، فحمدت سيرته وحسن  
أثره ، وكرم خيريه وخبره . وأنجب عقبا جاريا على سننه ، متخلقا من  
السرو (83) بأحسنه .

(82) الولايات النبيهة : الاتاليم الشهيرة .

(83) السرو : بتشديد السين مع الكسر وسكون الراء ، وهو السخاء والمروءة .

وكان له أدب غض الجنا ، طيب اللفظ والمعنى . ومقطوعة حسنة المقاطع ، سافرة عن الحسن الساطع .

ومن ذلك في وصف :

### 65 - أبي زيد عبد الرحمن المينشتي

من شيوخ طريقة العمل ، المتغلبين من أحوالها بين الصحو والثلث ، ( 99 م ) المتغلين برسومها حين اختلط المرعى بالهمل . وهو ناظم أرجاز ، ومستعمل حقيقة ومجاز . نظم بها مختصر السيرة ، في الالفاظ النيسيرة . ونظم جزءا من الزجر والغال ، نبه به تلك الطريقة بعد الاغفال .

ومن ذلك في وصف :

### 66 - أبي جعفر ، المعروف بالبقيل - من أهل المرية

بقية سالحة ، وغرة في الزمن واضحة . أرخ وقيد ، وأحكم بناء العبارة وثيد . ورقم الرسائل البدائع ، وحقق ببلده الاخبار وكتب الوقائع . فمجالسه عظيمة الامتاع ، ومحاضراته مقرطة الاسماع . وله شعر جزل ، لا ينتكب لمعانيه غزل وألفاظ صقيلة ، ومعان تتبرج تبرز العقيلة . وأغراض لا تطيش نبال نبلها ، ولا تطمس لاجبة سبلها . وقد أثبت منها ما يشهد باجادته ، ويدل على كرم مجادته .

ومن ذلك في وصف :

### 67 - أبي جعفر بن جعفر - من أهل مالقة

( 99 ب ) أديب مجيد ، وبطل في الحساب نجيد . تقدم في الطريقة

العملية وبرز ، وطرر طروسها وطرز ، ونفذ فأبرز . وعانى النظم فأجاده ، واستقى غمام الادب فجاده ، وسلك الالفاظ وخلصها ، واستطرد المعانى واقتنصها ، ومرت به النادرة فاغتنم فرصها وله أخلاق رقيقة ، ونفس لكل عذرى شقيقة .

وقد أثبت من شعره ما وقع في يدي وارتسم في خدى .

ومن ذلك في وصف :

#### 68 – أبى على حسن بن الخطيب أبى الحسن القيجاطى (84)

حسنى المذهب ، وهائم بكل عذار موسى وخذ مذهب . نشأ بين يدى أبيه – رحمه الله – وحلقة درسه مكنس آرام ، ومثار صباية وغرام ، ومطلع الشمس والاهلة من ابناء الجلة فركض فى الكلف ملء عنانه ، ومكن الجنون السود من سويداء جنانه ، وعذب عنده تعذيبه ، حتى اشتهر غزله ونسييه .

ولما نصب عود تلك الشبيبة ، وصوح نبت تلك الرياض العجيبة – تعلق بالخدمة ( 100 م ) فانتظم فى أهلها ، وسار فى حزنها وسهلها . وظهرت عليه نبعات عبر لها اللجة ، وقطع الحجة ، واستقر ببجاية ، فارتقد وارتفق ، وعرض شعره فعلا سعد ونفق . ثم ارتحل – على هذا العهد – الى أم تلك المملكة (85) ، والقائمة بحساب تلك البلاد مقام الفذلكة . فاستند الى بابها ، وارتسم فى سلك كتابها .

وقد أثبت من شعره المطبوع ، أيام مقامه بهذه الربوع .

(84) انظر ترجمة هذا الاديب فى مجلة الثقافة المغربية ( العدد الاول – السنة الثالثة عشرة – شعبان 1389 هـ ) .

(85) يقصد بها غرناطة العاصمة .

ومن ذلك في وصف :

## 69 — أبى محمد ابن المربع (86)

### من أهل بليش (87)

طويل القوادم والخوافي ، كلف — على كبر سنه — بعقائل القوافي .  
شاب في الادب وثنب ونشق ربيع البيان لما هب . فجاور رقيقة وجزله ،  
وأجاد جده واحكم هزله . فان مدح صدح ، وان وصف انصف ، وان

(80) هو الشاعر الغرناطى ابو محمد عبد الله بن عبد الله الازدى ، المعروف بابن  
المربع من مدينة بليش مالقة ، وقد تناوله ابن الخطيب في احاطته ، حيث  
ترجم له بانفاضة ، واورد الرسائل والقصائد التى تبودلت بينهما يومئذ ، وهو  
من كتاب المقامة المشهورين في ذلك العصر ، وقد نقل له المؤلف مقامة ساسانية،  
عرفت فيما بعد بمقامة العيد ، كان قد كتبها الى حاكم مالقة الرئيس « أبى  
سعيد فرج بن نصر » بغرض الحصول على اضية العيد . وتتضمن هذه المقامة  
قصة قصيرة بطلها رجل متسول من بنى ساسان بارع الحيلة ، قد صمم العزم  
يوما على ان يحصل على كبش من الحاكم ، وبذل في سبيل مطلبه هذا جهودا  
شتى ومضنية ، الامر الذى يفسر لنا هنا حياة الكد التى صادفها المترجم له  
من حياته ، كل هذا في أسلوب طريف ، زانه السجع ، وتخللته الفكاهة . توفى  
هذا الشاعر بوباء الطاعون الجارف الذى اجتاح منطقة البحر المتوسط وقتئذ ،  
ودفن ببلدته اوآخر عام 750 هـ .

راجع : ابن الخطيب في مخطوطة « الاحاطة » نسخة الاسكوريال 1673 لوحة  
227 — 230 ، وكذا المقرئ في « نفع الطيب » ج 6 ص 315 — 136 ج 8  
ص 209 — 210 .

(87) بلدة متوسطة تقع قرب مالقة ( على مسافة 34 كلم ) ، وتنسب اليها ، وتوجد  
أخرى تسمى « بليش الشقراء » ، وهى قرب « لورقة » كما ان هناك اخرى  
قريبة منها تسمى « بليش البيضاء » ، وبهذه المناسبة نذكر ان ابن الخطيب وصف  
الثانية في كتابه « معيار الاختيار » في ذكر المعاهد والديار « بانها ثغر  
مجاور لحدود مدينة لورقة التى كان العدو يومئذ قد استولى عليها . وأما بليش  
مالقة فقد وصفها المؤلف أيضا في نفس المعيار . وأما الثالثة فلم ترد لديه ،  
فربما استحدثت من بعد .

عصف قصف . وان انشأ دون ، وتقلب في أفانين البلاغة وتلون — أفسد ما شاء وكون .

فهو شيخ الطريقة الادبية وفتاها ، وخطيب محافظها ( 100 . ب ) كلما أتاها . لا يتوقف عليه من أغراضها غرض ، ولا يضيع لديه منها مفترض . ولم تزل بروقه تتألق ومعانيه بأذيال الاحسان تتعلق — حتى برز في أبطال الكلام وفرسانه ، وذعرت القلوب لسطوة لسانه . وألقت اليه الصناعة زمامها ، ووقفت عليه أحكامها . فشعشع مداحها ونبه خدامها . وأطلع نجومها ، وأرسل رجومها . وعبر البحر — لهذا العهد — منتجعا بشعره ، ومنفقا — في سوق الكساد — من سعره . فأبرق وأرعد ، وحذر وتوعد . وبلغ جهد امكانه في التعريف بمكانه ، فما حرك ولا هز ، وان ذل في طلب الرقد فقد عز .

وما برح أن رجع الى وطنه الذي اعتاده ، رجوع الحديث الى قتاده .

وقد أثبت من نزعاته وبعض مخترعاته ما يدل على سعة باعه ، ونهضة ذراعه . وألمحت بشيء من سبب رحلته واغترابه ، وعودة مرهفه الى قرابه .

ومن ذلك في وصف :

70 — أبى عبد الله المتاهل المعروف بعماتي

من أهل وادى آش

( 101 : م ) ناظم أبيات ، وموضح غرر وشيات ، وصاحب توقيعات واشارات ، ذوات اشارات . اشتهر ببلده اشتهار الشيب بالمفارق، وتألق

بأفقه تالق البارق . دخل على أمير بلده المخلوع عن ملكه (88) بعد انتشار سلكه ، وخروج الحضرة من ملكه ، واستقراره بوادى آس مروع البال ، متعللا بتقصيات الآمال .  
ومن ذلك فى وصف :

## 71 - أبى المؤلف - رحمه الله (89)

ان طال الكلام ، وجمحت الاقلام - كنت كما قيل . ومادح نفسه

(88) يقصد المؤلف بالملك المخلوع السلطان محمد الخامس الفنى بالله ثامن ملوك بنى الاحمر فقد اندلعت الثورة ضده فى غرناطة ، تزعمها أخوه الامير اسماعيل ، وذلك فى رمضان من عام 760 هـ ( 1359 م ) فلجا السلطان المخلوع الى وادى آس ومعه وزيره ابن الخطيب ، ومنها التحق بفاس لاجئا سياسيا لدى بنى مرين فى 6 محرم 761 هـ ( 8 ديسمبر 1359 م ) ثم استرد الفنى بالله ملكه عام 762 هـ ( 1361 م ) وبقي متربعا على العرش حتى توفى عام 793 هـ ( 1392 م ) .  
راجع : الاحاطة ، مخطوطة الاسكوريال 1673 لوحة 182 ، واللمحة البدرية ص 101 ، ثم « نزهة البصائر والابصار » للقاضى النباهى ، حيث حقق الجزء الخاص بدولة بنى نصر المستشرق الاسبانى « اميليو لافونتى الكانترا » ص 63 طبعة مدريد 1859 م .

(89) اخبر عنه المؤلف فى « الاحاطة » بانه ولد فى غرناطة عام 672 هـ ( 1273 م ) واستقر بها حيناً ، ثم عاد الى « لوشة » مقر الاسرة ، ثم رجع الى غرناطة ، حيث التحق بخدمة السلطان أبى الوليد اسماعيل الاول النصرى ، فهو بهذا « غرناطى الولادة والاستيطان ، لوشى الاصل ، طليطلية قرطبية » ، ولمسا توفى هذا السلطان ، وخلفه ابنه السلطان عبد الله محمد الرابع التحق والد ابن الخطيب بديوان كتابته أيضا ، ثم بديوان أخيه السلطان أبى الحجاج يوسف الاول ، حيث عاصر الرئيس ابن الجياب الذى منحه لقب الوزارة .  
ويعتبر المترجم له من اكابر العلماء والخاصة ، ممن اصطفاهم السلطان أبى الوليد ليعمر بهم بلاطه، ضمن نخبة اخرى من الرؤساء والعلماء ، الذين اشرفوا على تربية أبناء السلطان ، ففرسوا فيهم بذور العلم والادب ، وأمدوهم بخبراتهم وتجاربهم ، كما تولوا لهم تسيير الشؤون بعد أبهم .  
توفى والد ابن الخطيب هذا قتيلا مع ولده الاكبر عبد الله - أخى لسان الدين - فى معركة طريف الشهيرة ، فى جمادى الاول 741 هـ ( أكتوبر 1340 م ) .  
راجع : المقرئ فى « نفع الطيب » ج 6 ص 319 وما بعدها ، ج 8 ص 40 وما بعدها .

يقربها السلام ، وان أحجمت - فما استرسلت في الثنا ولا ألجمت - أضعف الحقوق ، وقاربت العقوق . هذا وله جرت طير البلاغة من أوكاره ، وحييته بعيون البيان وابكاره - لما قضيت بعد ، ولا قلت الا بالذى علمت سعد (90) ، فقد كان ذم حزم (91) ورجل رجاء وازم (92) .

كان ببلده قطبه الذى عليه المدار ، وزعيمه الذى له الايراد والاصدار . وله المقام ( 101 . ب ) النصرى وسائل قربى ، ومئات أناف أو أربى . ولما حل الملك الاسماعيلى (93) بذلك القطر ، ولاح بأفقه لياح هلال الفطر - نزع الى فريقه ، وجعل تلك الايالة قرى طريقه . وصحب ركابه الى قرارة ملكه ، ومحط فلكه . فقربه وادناه ، وشيد له العز وبنائه . ولم تنزل سماؤه تجوده ، وروضه يروضه جوده . واصطنعه خلفه من بعده ، الى أن دعاه الاجل لموعده . ففقدته بكايئة طريف (94) ، جبر الله عثارها ، وعجل آثارها .

90 مثل عربى يضرب عند اسناد الاخبار الى مصادرها الوثيقة .

91 رجل ذمى : بفتح فسكون أى : شجاع داهية .

92 رجل ازم . بفتح فسكون أى : يبرز في الازمات .

93 هو السلطان أبو الوليد اسماعيل النصرى ، خامس ملوك بنى الاحمر . تولى السلطة في شوال من عام 713 هـ ( ابريل 1313 م ) ، وقتل بيد ابن عمه محمد بن اسماعيل صاحب الجزيرة لاسباب شخصية في اواخر رجب 725 هـ ( يونيه 1325 م ) ، ويذكر المؤرخون عن هذا السلطان انه شدد التنكير على الخارجين عن تقاليد الاسلام ، فمن ذلك تحريمه على النساء الجلوس على الموائد مع الرجال في الحفلات العامة ، ومنعه للمسكرات البتة ، الى غير ذلك .

94 تعرف هذه المعركة في الرواية الاسلامية بـ « موقعة طريف » وسماها ابن الخطيب في مواطن اخرى بـ « الوقعة العظمى » ، وتعرف في الرواية الاسبانية بـ « معركة سالادو » ، وقد حدثت بين الاسبان والمتطوعين من نصارى أوروبا من جهة ، وبين المغاربة والاندلسيين من جهة اخرى حيث رابط الفريقان عند نهر سالادو قرب طريف ، وتمخض الاشتباك المحتوم عن فوز الاسبان بقيادة ملكهم الفونسو السادس ، وهزم المغاربة ، فعاد السلطان أبو الحسن المريني الى المغرب ، كما قتل السلطان يوسف الاول أبو الحجاج راجعا الى عاصمة ملكه غرناطة ، ومحض الله المسلمين .

حدث خطيب الجامع الاعظم ، وهو ما هو من وغور العقل ، وصحة النقل ، قال « مررت بأبيك بعدما تمت الكسرة ، وخذلت تلك الاسرة ، وقد كفا بأخيك الطرف ، وعرض عليه الحمام الصرف . والشيوخ لم تنزل قدمه ، ولا راعه عدمه . ولما يؤس من الخلاص وطلابه ، صرفنى وقال : أنا أولى به . فقضى سعيدا شهيدا ، لم يستفزه المقول ولم يئنه ، ولا ارتضى عار الفرار عن ابنه » .  
 وكان له في الادب فريضة ، وفي النادرة العذبة منادح عريضة ، مع انتحاله ( 102 م ) واشتغاله بحاله .  
 ومن ذلك في وصف :

## 72 - أبى بكر البلوى - من أهل المرية

بحر لرسوم المكارم ، ذو هزة للفضائل كهزة الصارم . كان - رحمه الله - يبده في الاحسان ، بمنزلة العين من جسد الانسان ، والنطق من اللسان ، والبشاشة من الصور الحسان . ان ضل السماح فبيته مأواه ، أوصل الضيف فهو أبو مشواه . الى نفس آخذة بأقاصى الكمال ، وشمائل الطف من أنفاس الصبا والشمال ، وأدب أشهى الى القلوب من الآمال .  
 قدم على الحضرة لاول الدولة ، رداء حق الطاعة ، والانتظام في الجماعة .

وعلى الاثر سقطت كل من طريف والجزيرة الخضراء وقلعة بنى سعيد في قبضة النصارى ، وكاد الاسبان يستولون على جبل طارق . وتجدد الاشارة الى ان هذه المعركة كانت فاصلة في تاريخ الجهاد المرينى بالاندلس ، بحيث لم يتسن للمغاربة الجواز الى هذه البلاد في صورة كتائب نظامية أو الاشتباك فى معارك بعدئذ مع النصارى ، وكانت هذه الموقعة فى جمادى الاولى عام 741 هـ ( اكتوبر 1340 م ) .

راجع : يوسف الاول ابن الاحمر سلطان غرناطة - للمحقق ص 134 - 140 نشر الدار التومية للتوزيع 1969 بالقاهرة .

ومن ذلك في وصف :

### 73 - أبى عبد الله السراج

طبيب ماهر ، وروض علم تفتحت فيه للفنون أزاهر . درج من الشخلف الى السعة وتحلى بحلية العلم فرفعه . فبلغ الغاية التى لطف محلها ، وفاء عليه ظلها ، وتغلبت عليه الايام فاعتورته صروفها (95) وتكدر عنده معروفها ، ( 102 . ب ) لما ذكرته فى كتاب طرفة العصر ، فى اخبار دول بنى نصر . ثم تداركت صلاح حاله ، ومتعته بطيب القرار بعد ارتحاله . فاستقرت داره ، واستقام - على قطب العناية - مداره .

وكان - رحمه الله - كثير الدعابة ، وما شأنه ذلك ولا عابه . وله نظم ينخرط فى سلك الانطباع ، ويخبر بطول الباع .

ومن ذلك فى وصف :

### 74 - أبى زكريا يحيى بن هذيل التجيبى (96)

درة بين الناس مغفلة ، وخزانة على كل فائدة مقفلة ، وهدية من الدهر الضنين لبنيه محتفلة . أبرع من رتع التعاليم وعلمها ، وركض فى الالواح قلمها ، واتقن من صور الهيئة ومثلها ، وأسس قواعد البراهين بين الناس وأثلها (97) . وأعرف من زاول شكايه ، ودفع عن جسد نكايه . الى غير ذلك من المشاركة فى العلوم ، والوصول من المجهول الى

(95) اعتورته صروفها : تداولت عليه احداثها .

(96) هو الشيخ أبو زكرياء يحيى بن هذيل ، من اشهر العلماء المشتغلين بالطب والفلسفة والعلوم والرياضيات ، ويعرف لذلك بحكيم غرناطة وفيلسوفها ، وهو احد شيوخ لسان الدين ابن الخطيب . توفى - رحمه الله - عام 753 هـ ( 1355 م ) .

(97) اثلها : بفتح الهمزة وتشديد التاء مخ الفتح بمعنى : أصلها .

المعلوم ، والمحاضرة المستقرة للحلوم (98) ، والدعابة التي ما خالغ العذار فيها بالمنوم . فما سُئلت من نفس عذبة الشيم ، وأخلاق كالزهر من بعد الديم (99) ومحاضرة تتحف المجالس ( 103 . م ) والمحاضر ومذاكرة يروق النواظر زهرها الناظر .

وله أدب ذهب في الاجادة كل مذهب ، وارتدى من البلاغة بكل رداء مذهب . ومعان تراودها الخواطر فلا تصد ، وتحببها النفوس فلا ترد . والادب نقطة من حوضه ، وزهرة من أزهار روضه .

وسيمر له - في هذا الديوان - ما يبهر العقول ، ويحاسن بروائه ورائق بهائه الفرند المصقول .

## 75 - أبى عمرو بن عباد من أهل رندة (100)

صوفي محقق ، ومريد عن صبوح المحبة مرقق . كان ببلاده - رحمه الله - عينا من أعيانها ، وقريع بيت من بيون احسانها . شام للغرب بارقا ، وأصبح لندياه مفارقا ، فنزح عن بلاده ، وخرج عن طريفه وتلاده ، وشمر لمقارعة الهوى وجلاده . وخاض بحار تلك الاحوال ، حتى صار معدودا في أهل الاحوال . وظهرت عليه سمات الحضرة ، وسطعت له أنوار الكرامة الالهية . ولم يزل يعبر عن وجدته ، ويكنى بحاجره ونجده ، حتى حفظت ( 103 . ب ) أقواله ، واشتهرت أحواله .

98 الحلوم بضم الحاء : العتسول .

99 الديم . بتشديد الدال مع الكسر بمعنى : قطرات المطر .

1000 ما زالت المدينة تحمل نفس الاسم بالاسبانية Ronda تقع غرب مالقة ، وقد كانت من أهم القواعد الاندلسية .

ومن ذلك في وصف :

## 76 - أبي الوليد بن هاني - من أهل غرناطة

شاعر ينحت من طود ، وماطر صاب من الكلام بجود (101) .  
عدل عن اللفظ القريب الحوشي الغريب . فاذا أجهد طبعه ، ووصف حيه  
وربعه ، وكيف ظعن القطان ، وتغيرت الاوطان - قلت : حجازيا فصيحاً ،  
أو تميمياً ينشق للبيان ريحاً ، ونجدياً شكاً بثاً وتبريحاً .

نشأ ببلده غرناطة مطلع نور حسبه الباهر ، وروضة بيته الانيق  
الازاهر . فشأى حلبة الطلب ، وفاز بالغلب ، واجتهد وعكف ، واستتمطر  
وابل العلم لما وكف ، حتى جلى من المشكلات كل حالك ، واستظهر  
موطأ مالك . ثم رام السفارة بعزمه ، وخاض القفار بجرفه وحزمه .  
واستقر بعد اعتساف المجاهل ، ومزاحمة المناهل ، وخوض العرار ،  
والبشام بحماسة الشام (102) واتخذها داراً ، وارتناضها لفضله مداراً .

(101) جود . بفتح فسكون ، مصدره جاد ، بمعنى : النيل .

(102) حماة : مدينة لها شهرتها واصالتها في سوريا ، تقع على نهر العاصى ،  
أحدى المراكز التجارية، تتبعها كمحافظة من المحافظات سلمية ومصيفاً، ويبلغ  
تعداد سكانها حوالى 420.000 نسمة ، ويرجع تاريخها الى القرن الالف  
الخامس قبل الميلاد تقريبا ، احتلها الميتاليون عام 1.550 ق. م. ، ثم الآراميون  
نحو 1.100 ، ثم دمرها الحيثيون ثم الآشوريون عام 720 ق. م. ، ولكن الحياة  
عادت اليها في عصر السلوقيين ، الذين دعوا « ابيقانيا » ، حتى احتلها الرومان  
عام 64 ق. م. ، وتلاه البيزنطيون ، وأخيراً دخلت التاريخ العربى عندما  
فتحها القائد أبو عبيدة عام 639 م .

هذا ، وتشتهر حماة بنواعيرها ، ومن آثارها المعروفة الجامع الكبير ، وجامع  
أبي الفداء .

راجع : د. مصطفى زياده وآخرين في « تاريخ العالم العربى وحضارته »  
ص 238 وما بعدهما . . .

ومن ذلك في وصف :

### 77 – أبى عبد الله الكفيف – من أهل مالقة

ضرب زاد نور بصره نور قلبه فاجتمعا ، وكفيف سارت الامثال  
بذكره فصدق مرأى منه مستمعا . صادق اللهجة ، سلك سبيل الفضل  
وانتهج نهجه . ادهن من رواد المشكلات واقترعها ، وصادم الغوامض  
فصرعها . وله في علم اللسان قدم راسخة ، وفي أحكام المعانى آية  
ناسخة . وكان معرى عصره ووارث علمه الذى يعجز عن حصره . وله  
في العلوم العقلية ذوق ، والى تلك الفنون شوق ، نسبته الالسن ،  
واستقبح منه ما يحسن . ونظمه دون قدره ، ومعانيه تكثر عن نفثات  
صدره .

ومن ذلك في وصف :

### 78 – الأديب الحاج الرجال أبى إسحاق الساحلى

جواب الآفاق ، ومحالف الرفاق ، ومنفق سعر الشعر كل النفاق .  
رفع ببلده راية للادب لا تحجم وأصبح نسيج ( 104 . ب ) وحده فيما  
يسدى ويلجم . فان نسب جرى قلم ما كتب ، وان مدح وقده من  
أنوار فتنته ما قدح – حرك الجامد ، ونظم الجمان للمحامد . وان وصف  
أورثا ، غبر في وجوه السوابق وحثا .

ولما أنف نكساد سوقه وضياع حتموقه – أخذ بالعزم ، وأدخل  
على تعلاته عامل الجزم . ولم يزل يسقط على الدول سقوط الغيث ،  
ويحتل كناس الطبى وغاب الليث . ويركض النجائب ، ويتتبع العجائب ،  
حتى استضاف بمصر الكرام ، وشاهد البرابى والاهرام ، ورمى

بعزمته الشام ، فاحتل ثغوره المحوطة ، ودخل دمشق وتغياً الغوطة (103)  
ثم عاجلها بالفراق ، وتوجه الى العراق ، فحيا بالسلام مدينة السلام (104)  
وأورد بالرافدين (105) رواجه ، ورأى اليمن وسواحه .

ثم عدل الى الحقيقة عن المجاز ، وتوجه الى مثابة الحجاز ،  
فاستلم الركن والحجر ، وزار الترب الكريم لما صدر . وتعرف  
في مجتمع الوفود بملك السود ، فغمره بارفاده ، واستصحبه الى بلاده .  
فاستقر بأول اقاليم الارض ، واقصى ما يعمر من هذا العرض . فحل  
بها ( 105 . أ ) محل الخمر في القار ، والنور في سواد الابصار . وتقيد  
بالاحسان ، وان كان غريب الوجه واليد واللسان .

وقد أثبت من شعره ما يشهد بجلالة آدابه ، وتعلق الاحسان  
بأهدابه .

ومن ذلك في وصف :

## 79 - القائد أبي جعفر أحمد بن خير

قائد مليح الشبية ، ممتزج الباسطة بالهيبية . يجمع بين الدعابة  
والوقار ، ويدير من الفكاهة كؤوساً تترى بكريم العقار . وله أصالة قامت  
على العلم أركانها . واشتهر بحمص - أعادها الله - مكانها ، ووسائل  
الى السلف الكريم عظم ذمامها ، وارتضع أخلافها بين القيادة وأعمالها .

---

(103) الغوطة : هي مجموعة البساتين المحيطة بدمشق ، وترتوى من نهر بردى ،  
تشتهر بوفرة وجودة مشمشها ، وكانت هذه الجنات قديماً سكناً للفساسنة .

(104) مدينة السلام : بغداد .

(105) الرافدان : دجلة والفرات .

تناول خطة المدينة فأجراها ، وراش نبل الاحكام وبراهها ، وبشر  
بشار أولى الفساد وفراها ، وفرق بين الجفون وكراها . فكم عاشق  
انتجز للوصول ميعادا ، وارثق للسعد اسعادا . وظفر بمثير غرامه ،  
وموقد ضرامه . في مجلس تجلت فيه عروس الكناس ، على غرس الورد  
والآس وعند سجود الابريق ، ومزج المدامة بالريق – وثب ابن خير  
هذا وثوب الليث ، وسقط عليه سقوط العيث ، لا سقوط الغيث ، فراع  
غزال ذلك الكناس . حتى ذعرت القلوب لسطوته ، وتشوفت الآذان الى  
احساس خطوته . كل ذلك بعدل ميزان قائم ، وجزالة لا يثنيها في الحق  
لائم . وبسالة تشهد المواقع بمضائها ، وتثني عليها السيوف عند  
انتضائها .

واصطنعه المقام اليوسفي (106) – اعلاه الله وارتنضاه – للامانة  
العظمى ، وقلده حفظ أبواب معقله الاسمي . فأعطى القوس باريا ، وقلد  
الخطة حساما فاريا . وهو لطيف المحل لديه ، حظى بين يديه ،  
يستظرف نادرته العذبة ، ويبدى له القبول والمحبة .

وله أدب عذب الجانب ، سهل المذائب ، لا يزال ينفث بضربه ،  
ويستقر عند نظمه عوائد طربه .

ومن ذلك في وصف :

## 80 – أبي جعفر بن عفرون – من الجند

( 106 : أ ) نير ما طلع حتى أفل ، وماجد في حلل الفضل رفل .  
ألطف الناس في معاشرة الاكفاء ، وثانى . . . ابن عادييا في الوفاء

106) المقام اليوسفي : نسبة الى يوسف الاول أبو الحجاج ابن الاحمر سلطان غرناطة  
وسابع ملوك بنى نصر ( 733 – 755 هـ = 1333 – 1354 م ) .

الى حلم لا يضيق له صدر ، وعهد لا يتطرق لحماه نكث ولا غدر . ونفس عظيمة النفاسة ، واخلاق مولعة بذكر الحماسة .

توجه مع الحصاة الى حراسة ثغر بيرة (107) وقد اشتعلت نيرانه ، وكلب جيرانه وكانت من المسلمين جولة في بعض المواقف ، ميز الله بها الخاص من الزائف . ولم يرض حاجبنا - رحمه الله - على الفرار أمام الكفار ، ولم يزل يقدم اقدام الغضنفر ، ويقيم هامته مقام المغفر (108) . ففضى شهيدا مقداما ، وشرب للحمام كأسا كانت لها السعادة مداما . ولم أظفر من كلامه الا بنزر ، ولا أحطت من مده الا على جزر .

ومن ذلك في وصف :

### 81 - أبي جعفر الروية - من أهل بليش

ناظم الفقر الشاردة ، ومنتضى المعاني الصادرة والواردة ، وصاحب

---

(107) بيرة : تدعى الآن في الاسبانية Vera تقع شمال شرق غرناطة ، وهى بلدة مرتفعة تشرف على ساحل البحر المتوسط ، مما اكسبها اهمية بحرية حربية .

وصلها ابن الخطيب في « معيار الاختيار » مشيرا الى مجاورتها للنصارى ، وما كان من تعرضها لمتاعبهم ، وانتهاك حرمتها بين حين وآخر ، حين يقول « . . الا انها قليلة المطر مقيمة على الخطر ، مثلومة الاعراض والاسوار ، مهطعة لداعى البوار » هذا بالاضافة الى منتتها بالداخل « قليلة الوجوه والصدور ، كبيرة المشاجرة والشرور ، برها انذر بن برها في المعتمر والبور ، وزهد أهلها في الصلاة شائع في الجمهور » .

(108) المغفر والمخفرة : جمع مغفر ، عبارة عن زرد يلبسه المحارب تحت القلنسوة لانتقاء الضربات .

قريحة ملتبهة الوقود ، وبديهية منتظمة العقود ، وبيت ينمى الى مجد ،  
وأصالة أطيّب من عرار نجد (109) .

نشأ ببلده ( 106 . ب ) بليش قرارة ميلاده ، مقتصرًا على انتجاع  
تلاده . صان بذلك وجهه عن اراقة مائه ، وهتك حجاب حياته .

ولم أظفر من شعره — على استرساله — الا بقوله يهنى السلطان  
— أيده الله — بأحد أولاده .

ومن ذلك في وصف :

## 82 — أبى عبد الله العبدونى الملقى

أديب نار ذكائه يتوقد ، وعارض لا يعترض كلامه ولا ينفد . وأما  
الهزل فهو طريقته المثلى ، التى ركض فى ميدانها وجلى ، وطلع فى أفقها  
وتجلى . فأصبح علم أعلامها ، وعابر أحلامها . ان أخذ بها فى وصف  
الكس ، وذكر الورد والآس ، والمم بالربيع وفصله ، والحبيب ووصله  
والروض وطيبه ، والغمام وتقطيبه — شق الجيوب طربا ، وعل النفوس  
أريا وضربا (110) . وان اشفق لاعتلال العشية ، فى فرش الربيع  
الموشية ، ثم تعداها الى وصف الصبوح ، وأجهز على الزق  
المجروح ، وأشار الى نعمات الورد ، وقد اشتعلت فى عنبر الليل نار  
البرق ، وطلعت بنود الصباح ( 107 . أ ) فى شرفات الشرق — سلب

---

(109) العرار : واحدة عرارة ، وهو بهار ناعم اصفر طيب الرائحة . وعرار نجد الذى  
يلمح اليه المؤلف هو الذى عناه الشاعر قديما بقوله :

تمتع من شميم عرار نجد      فما بعد العشية من عرار

(110) الأرى : بفتح الهمزة وسكون الراء مصدر أرى ، وأرى النحل ، عمل العسل  
فالأرى ( بفتح الهمزة وسكون الراء هو العسل ) .

الحليم وقاره ، وذكر الخليع كاسه وعقاره . وحرك الاشواق بعد سكونها ، وأخرجها من وكونها ، بلسان يتزاحم على مورده الخيال ، ويتدفق من حافاته الادب السيال . وبينان يقيم أود المعانى ، ويشيد مصانع اللفظ محكمة المباني ، ويكسو حل الاحسان جسوم المثالث والمثاني . الى نادرة لمثلها يشار ، ومحاضرة يجنى بها الشهد ويثار .

وقد أثبت من شعره — وان كان لا يتعاطاه الا قليلا ، ولا يجاوزه الا تعليلا — أبياتا لا تخلو من مسحة جمال على صفاتها ، وهبة طيب تنم في نفعاتها .

ومن ذلك في وصف :

### 83 — أبى القاسم الشريف الحسنى (111)

ما شئت من قدرة وايد ، ليس من عمرو ولا زيد . أكرم من عمر  
للبلاغة مجالا ، وأطوع من دعا أبيات المعانى فجاءت عجالا ، وأبرع من  
أدار كؤوس البيان المعتق ، ولعب بأطراف الكلام المشقق ، روية وارتجالا ،  
وأجل من أشار اليه الشاعر بقوله :

« وخير الشعر أكرمه رجالا » .

قدم على ( 107 . ب ) الحضرة هذا القاضي الشريف ، وقذف  
بدرته النفيسة لها الريف . روض أدب وظرف ، لما شئت من حسن

---

111) هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الحسنى السبتي . ولد بسبته  
في 6 ربيع الاول 697 هـ ( 22 ديسمبر 1297 م ) حيث نشأ بها ، وقرا القرآن ،  
وتبلا من العلوم وأخذ بحظ وانر من المنظوم والمنثور ، ثم انتقل الى فرناطة ، حيث  
التقى بشيخ الكتاب ابن الجباب ، الذي ضمه الى الكتابة الديوانية ، وهو احد

وعرف . يدير من الحاضرة جريالا ، ويسحب للبدائع أذبالا . ذا نفس كريمة ، وأخلاق كالروض غب انسكاب ديمة . وقعد بمسجدها فدرس وحلق ، وسطع نوره فى أفقها وتآلق . واستأثرت به الكتابة السلطانية لاول وروده ، وسبغت عليه من الاحسان سوابغ بروده . وترشح بخلاله المرتضاه ، السى قضاء القضاة . وهو — الآن — قاضى الجماعة وامامها (123) ، وقيم الشريعة الذى فى يديه زمامها ، بلغت به تلك

شيوخ ابن الخطيب المعدودين فى مغاخر صفحاته العلمية .  
تقدم للقضاء فى انحاء شتى من الاندلس ، ثم أختير قاضيا للجماعة بفرناطة ، وخطيبا للمسجد الاعظم فترة من الوقت ، ثم عزل ، ثم أعيد مرة اخرى ، كما جدد السلطان الفنى بالله الولاية له بعد وفاة ابيه السلطان أبى الحجاج . وللمترجم له مؤلفات ما زال معظمها مخطوطا لم ير النور بعد ، مثل « الجواهر الثمينة » فى صفات القاضى العادل « وكذا مؤلفه الضخم « رفع الحجب المستورة عن محاسن المقصورة » شرح بها مقصورة اديب المغرب الامام أبى الحسن محمد القرطاجنى التى مدح بها المستنصر بالله أبى عبد الله محمد الحفصى ، وذلك فى مجلدين كبيرين .  
توفى هذا الفقيه الكبير بفرناطة فى 21 شعبان 760 هـ ( 18 يوليو 1359 م )  
عن 63 عاما .

راجع : يوسف الاول ابن الاحمر للمحقق ص 78 — 79 ( لجنة البيان العربى بالقاهرة 1969 م ) .

112) جرت عادة الاندلسيين أن يختاروا من بين قضاة المدن « قاضيا للجماعة » وهو المعروف بـ « قاضى العاصمة » او « قاضى الحضرة الملكية » ويعد منصبه من أرفع المناصب الدينية ، ولهذا يراعى فى اختيار صاحبه السمعة الطيبة ، والكفاءة والتبريز فى ميدان القضاء ، الى جانب التأليف فى هذا ، والشهرة فى الفتاوى ، فلم يكن ليشغل هذا المنصب سوى العلماء المشهورين ، او الفقهاء الكبار ، مثل الشريف السبتي ، وابى البركات بن الحاج البلنقى .  
ويقوم قاضى القضاء عادة بالخطابة فى المسجد الاعظم بالعاصمة ، ويتم هذا الاختيار السامى بمقتضى ظهير ملكى خاص ، حيث تقام حفلة تنصيبه بالمسجد الاعظم او مسجد الحمراء ، وقد أورد ابن الخطيب فى كل من « الاحاطة والملحة البدرية » أسماء من تولوا القضاء بالحضرة الملكية ، وخاصة من عاصرهم ، مرتبا ذكرهم غالبا حسب تاريخ اعتلائهم هذا المنصب .  
راجع : المصدر السابق ، ص 74 .

المثابة آمالها ، واستأنفت بعد الكبرة جمالها ، وقالت له هيت لك (113) فلم تكن تصلح الاله ، ولم يكن يصلح الاله . وألقت له الخطابة قيادها ، فأنسى قسها ، ووسم بعد الاغفال بسيمة الاحتفال جمعها واعيادها . وأما شعره فينازع الرضى نسييه ، فخره ونثبييه .

( 108 : 1 ) ومن ذلك في وصف :

#### 84 - الشريف أبى عبد الله بن الحسن الحسينى

كريم الانتماء ، مستظل بأغصان الشجرة الهاشمية الممتدة الاقياء ، التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء (114) . من رجل سليم الضمير ، ذو نفس أصفى من الماء النمير وبشهادة ثثنى عليها الرجال ، اذا ضاق المجال ، وتقوضت الاجال ، وله فى الشعر طبع يشهد بعروبة أصوله ، ومضاء نصوله .

وقد أثبت من شعره ما يتضح فى البلاغة سبيله ، ويشهد بعشق الجواد صهيله .

ومن ذلك فى وصف :

#### 85 - أبى القاسم بن الرئيس أبى زكرياء العزفى (115)

فرع تأود من الرياسة فى دوحة ، وتردد ما بين غدوة فى المجد

---

(113) اقتباسا من قوله تعالى : « وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه ، وغلقت الابواب ، وقالت : هيت لك ، قال : معاذ الله ، انه ربي أحسن مثواى ، انه لا يفلح الظالمون » . سورة يوسف ، آية 23 .

(114) اقتباسا من قوله تعالى : « ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، أصلها ثابت وفرعها فى السماء » سورة ابراهيم ، آية : 24 .

(115) نسبة الى بنى العزفى المتأمرين بسبته فى القرن السابع الهجرى ( الثالث عشر الميلادى ) .

وروحه . نشأ والرياسة العزفية تعله وتنهله (116) ، والدهر ييسر أمله الاقصى ويسهله . حتى اتسقت أسباب سعده ، وانتهت اليه رياسة سلفه من بعده ، ( 108 : ب ) فألقت اليه رحالها وحطت ، ومتعته بقربها بعدما شطحت وشطت . ثم كلح له الدهر بعدما تبسم ، وعاد زعزعا نسيمة الذى ينتسم . وعاق هلاله عن تمه ، ما كان من تغلب ابن عمه . واستقر بهذه البلاد نازح الدار ، بحكم الاقدار ، وان كان نبيه المكانة والمقدار . وجرت عليه جراية واسعة ، ورعاية متتابعة .  
وله أدب كالروض باكرته الغمام ، والزهر تفتحت منه الكمائم . ورفع منه راية خافقة ، وأقام له سوقا نافقة . وعلى تدفق أنهاره ، وكثرة نظمه واشتهاره — فلم اظفر منه الا باليسير التافه ، بعد انصرافه .

ومن ذلك فى وصف :

### 86 — أبى عبد الله بن الشيخ الحاجب بتونس أبى الحسن بن عمر

غرس نعمة هامية وربى رتبة سامية . تقلد أبوه حجابة الخلافة بتونس — وهى من سمو المكان ، ورفع الثمان — فصرف اليه الوجوه ، ولم يبق الا من يخافه أو يروجوه . ( 109 : 1 ) وبلغ من ابنه هذا — مدة ذلك الشرف — الغاية فى الترف . ثم قلب لهم الدهر ظهر المجن ، واشتد بهم الخمار عند فراغ الدن . وبدلتهم الايام بزتها ، واسترجعت عزتها . ولحق صاحبنا هذا بالمشرق بعد خطوط مبيرة ، وشدة فى البحر كبيرة . فامتزج بسكانه وقطانه ، ونال من اللذات ما لم ينله فى أوطانه . واكتسب

(116) العل : ( وبفتح العين ) شرب الخمر المرة تلو المرة . والنهل : ( بتشديد النون مع الفتح ) أول الشرب .

الشمائل العذاب ، وكان كابن الجهم بعث الى الرصافة (117) ليرق  
قـذاب .

ثم حوم على وطنه تحويم الطائر ، وألم بهذه البلاد المام الخيال  
الزائر . فاغتمت صفقة وده لحين وروده ، وخطبت موالاته على  
انقباضه وشروده .

فحططت منه على درة تقتنى ، حديقة طيبة الجنا . فيالله من  
ساعات أنس قطعناها ، ولذات اطاعتنا واطعناها ! ! ما كانت الا كأحلام  
نائم ، أو افاقة هائم ! رحلن وما ابقين الا الاسى ، والتعلل بعسى . .

والفقيه أبو عبد الله هذا ذو فهم جديد ، وفضل سديد ، وباع من  
الادب مديد . ولو تفرغ للتحصيل - بمقتضى ( 109 : ب ) طبعه الاصيل -  
لعلت قداحه ، وكان بحرا لا يساجل ضحاضحه .

---

(117) مدينة في بادية الشام ، تبعد بنحو أربعين كيلومترا من نهر الفرات ، لها  
اصالتها وشهرتها ، حيث وردت في الكتب والآثار القديمة ، وقد سكنها  
الغساسنة قبل الفتح الاسلامي ، كما اقام بها الخليفة الاموي هشام بن عبد  
الملك ( 724 - 743 هـ ) .

اما ابن الجهم هذا فهو على بن السلمي القرشي ، كان شاعرا مجيدا ، سخر  
شطرا كبيرا من شعره في هجاء آل أبي طالب والاغراء بهم ، فسخط عليه  
الخليفة المتوكل لذلك ولكثرة سعايته بين القوم ، فنفاه الى خراسان ، وهناك  
قبض عليه طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ، وصلبه يوما كاملا مجردا  
ثم حبسه ، فقال شعرا فيما حدث له من صلب وحبس ، توفي مقتولا عام 863 م  
بيد أعراب من بني كلب ، وكان في طريقه من حلب الى العراق . هذا وينسب  
اليه - بهذه المناسبة - قوله :

عيون المها بين الرصافة والجسر  
جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

ومن ذلك في وصف :

87 - أبى عبد الله ابن الحاجب بتونس

أبى عبد الله بن العشاب

جواد لا يتعاطى طلقة ، ولا يماثل بالفجر فلقة . كانت لابييه - رحمه الله - من الدول التونسية منزلة لطيفة المحل ، ومفاوضة في العقد والحل . ولم تزل تسمو به قدم النجابة ، من العمل الى الحجابة . ونشأ ابنه هذا مفدى بالانفس والعيون ، مقضى الديون ، حالا من الضمائر محل الظنون . والدهر ذو الوان ، ومارق حرب أوان ، والايام كرات تتلقف ، وأحوال لا تتوقف . فالوى بهم الدهر وانحى ، وولد غمام جوه بعقب ما له صحا . وشملهم الاعتقال ، وتعاورتهم النوب الثقال ، واستقرت بآخره بالمشرق ركابه ، وحطت به اقتابه . فحج واعتمر ، واستوطن تلك المعاهد وعمر . وعكف على كتاب الله فجود الحروف ، ( 110 : أ ) وقرأ الخلف المعروف . وقيد واسند ، وتكرر الى دور الحديث وتـردد .

وقدم على هذه البلاد قدوم النسيم البليل ، على كبد العليل . ولما استقر بها قراره ، واشتمل بجفنها غراره - بادرت الى مؤانسته ، وثابرت على مجالسته . فاجلنتيت السرور شخصا ، وطالعت ديوان الوفا مستقصى ، وعلمت معنى الكلام تاويلا ونصا . فحيا الله زمن اقترابه ، فلقد جاد وأجاد ، وأفاد ما لا أخاف عليه النفاذ .

وأما شعره فليس بحائد عن الاحسان ، ولا غفل عن غرر البيان .

ومن ذلك في وصف :

## 88 - صاحب القلم الاعلى بالمغرب ابي محمد عبد المهيمن الحضرمي (118)

الفذ الذي يعدل بالالوف ، والبطل المعلم عند مناجزة الصفوف ،  
والمتقدم بذاته وأداته تقدم الاسماء على الحروف .  
نشأ بسبته - حرسها الله - بين علم يفيد ، ومحل يشيده .  
وطهارة يسحب مطارفها ، ورياسة يتقيا وارفها . وأبوه - رحمه  
الله - ( 110 : ب ) قطب مدارها ، ومقام حجها واعتمارها . فسلك  
الحزون من المعارف والسهول ، وبذ - على حداثة سنه - الكهول .  
ولما تحلى من الفوائد العلمية بما تحلى ، وبرز في ميدان المعارف وجلى ،  
واشتهر الصباح اذا تجلى - تنافرت اليه همم الملوك الاخائر واستأثرت  
به الدول - على عاداتها - في الاستئثار بالذخائر . فاستقلت بسياستها

---

(118) هو الاستاذ الرئيس أبو محمد عبد المهيمن بن محمد بن عبد المهيمن بن  
محمد بن علي بن محمد الحضرمي النسب ، السبتي النشأة ، يتصل نسبه  
بالصحابي العلاء بن الحضرمي ، وقد ومدت الاسرة من اليمن الى الاندلس ،  
ثم نزع والد المترجم له الى سبته ، حيث شغل منصب القضاء بها على عهد  
بنى العزق امرائها . وفيها ولد صاحبنا عام 676 هـ ، ولما شب عن الطوق  
وحفظ القرآن الكريم قرأ على شيوخ المغرب البارزين ، أمثال رشيد والغافقي  
وابن الغماز وغيرهم ، حتى ابلغت مشيخته نحو الالف . وتولى منصب الكتابة  
بالمغرب للسلطان ابي علي بن ابي سعيد المريني عام 712 هـ . وصفه الابهير  
أبو الوليد ابن الاحمر بقوله : « بيته بيت علم سحب من التحصيل ذبلا ،  
وتضوعت من عرف عرفانه نواسم التفتن نهارا وليلا وطوقته المغاخر طوقا ،  
واذاقه الفهم من حلاوة العلوم ذوقا » .

توفي - رحمه الله - بتونس بمرض الطاعون الجارف في 12 شوال عام 749 هـ  
راجع : ابي الوليد ابن الاحمر في : مستودع العلامة ، ومستبدع العلامة . . تحقيق  
محمد التركي التونسي ، ص 50 ( ط معهد مولاي الحسن للبحوث بالمغرب  
1964 م ) . وكذلك : الاستاذ عبد الله كتون في « ذكريات مشاهير رجال المغرب  
- عبد المهيمن الحضرمي » نشر دار الكتاب اللبناني ( بيروت ط 1 مايو  
1960 م ) .

ذراعه ، وأخذم السيوف والذوابل يراعه (119) . وهو — الآن —  
 عينها التي بها تبصر ، ولسانها الذي تسهب به وتختصر .  
 وقد تقدمت له — الى هذه البلاد — الوفادة ، وحلت به لديه  
 الافادة . وكتب عن بعض ملوكها وانتظم في سموطها الرفيعة وسلوكها .  
 وله في الادب الراية الخافقة ، والعقود المتناسقة . فما شئت من  
 لفظ طاب عرفه ، ومعنى سحر الالباب ظرفه . وقد أثبت من كلامه في  
 « ريحانة الكتاب » ما تتمناه النحور بدل قلائدها ، وتجعله الحور  
 تمائم على ولائدها .  
 ومن ذلك في وصف :

### 89 — ( 111 : أ ) الخطيب أبي عبد الله بن رشيد (120)

بحر معارف لا يسبر غوره ، وروض فنون تضيع مسراه  
 واينع نوره ، وفريد زمانه الذي لا يأتي بمثله دوره .

(119) يقصد بالعبارة ، ان تلمه جعل السيوف والذوابل تقر بالذل وتسكن ، كناية عن  
 رنعة الشان .

(120) هو الشيخ أبو عبد الله بن رشيد الفهرى السبتي ، من كبار الائمة ، ومشاهير  
 الخطباء . كانت ولادته بسبته عام 657 هـ ، وتوفي بفاس في شهر المحرم من  
 عام 721 هـ ، وبها دفن بمطرح الحلة من القباب . وترجع شهرة المترجم له  
 الى انه كان واحدا من المحدثين ذوي الاسناد ومن عرفوا بالتضلع في علوم النحو  
 والعروض والادب ، كما كان مؤرخا عالما في القراءات ، رحالة .  
 وفد على غرناطة العاصمة ، فتولى الخطابة بمسجدها الاعظم حوالي عام 692 هـ  
 واقام حينئذ فترة من الزمن ، حيث ظهر بمكانة سامية تليق بهما ، وقصد  
 المشرق مرتحلا مرتين ، وخلال تجواله التقى بالعلماء وأخذ عنهم ، ولما  
 عاد من رحلته الاخيرة وضع كتابا حول هذه الاسفار ، واخيرا قتل راجعا الى  
 فاس ، واقام بها حتى توفي رحمه الله .

راجع : ابن الخطيب في « نفاضة الجراب » تحقيق د. العبادي ج 2 ص 307 —  
 352 ( القاهرة 1968 ) . والاسناد عبد الله كتون في « النبوغ المغربي »  
 ص 206 — 207 ( بيروت 1961 ) .

نشأ ببلده سبتة - حرسها الله - أصون من الدر في صدفه ، وأطهر من الماء في نطفه . لا يسرح - في غير المطالعة - طرفا ، ولا ينتشق - لغير المعارف - عرفا . حتى سما مقداره ، وكمل في وطنه ابداره ، فأشارت اليه العيون . وطمح الى الرحلة والزمان برحاله غنى وبكل قطر روض جنى ، وعالم سنى . فرحل عن بلده رحيل الغمام بعدما أمطر ، واقتشع اقتشاع الربيع عقب ما أزهى . ولم يزل يطلع بكل ثنية ، ويعشو الى نار كل فائدة سنوية . وكلما مر بفائدة في طريقه صرف اليها أعنة فريته . حتى عرس بالمثوى الجليل ، واستظل بالجدار الذى رفعت قواعده أكف الخليل (121) ونقع من ماء زمزم معتدم العليل (122) . وسنح له باليمن طيره ، وأحسب رحلته بالحرم الامين أبو اليمن وغيره . ثم صرف عنان أمله وسوله ( 112 : ب ) الى زيارة قبر نبي الله ورسوله ، فصلى بين روضته الطاهرة ومحرابه ، وتمتع ما شاء من لثم جداره وانتشاق ترابه . ودخل الشام في منصرفه ، مستكثرا من عيون العلم وطرفه ، وآب الى جوه وقد دون رحلته العظيمة الامتاع ، وأتى منها ما يقيد النواظر والاسماع وسماها بـ « ملء العيبة ، فيما قيد بطول الغيبة الى مكة وطيبة » (123) اسم وافق مسماه ، وسهم أصاب مرماه .

ولحق بالاندلس ، فتهللت لقدمه أسرتها - واحتفلت لقراه درتها . وأخذ عنه صدورها واستمدت من ثمه بدورها . وفعم

121) يعنى به « البيت الحرام » وتعبيره اشارة الى قوله تعالى : « واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل . . . الآية »

122) معتدم العليل : ما يفتقر اليه العليل .

123) الاستاذ عبد الله كنون اسم الرحلة هكذا : « ملء العيبة ، فيما جمع بطول الغيبة ، في الوجهتين الكريمتين الى مكة وطيبة » مشيرا الى ان المؤلف خصص فيها قدرا عظيما لذكر مسائل الحديث واسانيده مما يشهد له - في هذا الباب - بطول الباع ، وقلة النظر ، مع رسوخ القدم في التمسك بالسنة والعمل بامتضاها :

راجع « النبوغ المغربى » ص : 193 .

مجالسها العلمية طيبا ، وصعد منبر الحضرة خطيبا . وله من مدبر الدولة النصرية ذى الوزارتين ابن الحكيم (124) محلة ، وفاء عليه ظله ، لمودة بينهما عقدت ، ورسائل — قبل الرياسة — نقدت ، فانه كان رفيق طريقه ، ومساعدته على تشريعه . انتفع به لديه الكثير ، وأنجح الآمال محله الاثير .

ولما محقت النكبة نوره (125) ، وقصرت على العفاء قصوره ، ضاق بالخطيب — رحمه الله — العطن ، ونبا به بعده الوطن . ( 112 . أ ) فارتحل الى المغرب ، ولم يزل به رفيع المكانة ، صدرا في أولى العلم والديانة . حتى انصرم أجله ، وانقطع عن الحياة أمله . وكان له شعر يتكلفه ، ولا يكاد — لعدم شعوره بالوزن — يتألفه . ومع ذلك فأعلم أهل زمانه بالبديع وألقابه ، والكلام على أبوابه .

(124) هو الاديب الشاعر أبو عبد الله بن الحكيم اللخمي الرندي ، وزير السلطان محمد المخاوع ( 701 — 708 هـ ) ، واحد شيوخ ابن الخطيب ممن تتلمذ عليهم في ميدان الادب والشعر ، له مؤلف لم يصل الينا اسماءه « تاريخ الاندلس » ، توفي ابن الحكيم قتيلا عام 1308 م اثر خلع سلطانه المذكور . وتجدر الإشارة بهذه المناسبة الى ان لقب « ذى الوزارتين » يرجع الى عهد ملوك الطوائف ، وهو من القاب التشريف والتفخيم المتضمنة ازدواج الاختصاص ، اى جمع صاحبه بين وزارتى القلم والسيف ، وقد حظى بهذا اللقب عدة من اكابر وزراء عصر الطوائف ، مثل الشاعر ابي الوليد بن زيدون وزير بنى جهور وبنى عباد والشاعر ابي بكر بن عمار وزير المعتمد بن عباد ، و ابي بكر ابن القصيرة كاتب امير المسلمين يوسف بن تاشفين ويعتبر أبو بكر بن عمار أشهر من اضطلموا بمنصبى القيادة والوزارة . ولئن كانت الوزارة قد تسوارت ايام المرابطين ثم الموحدين ، الا انها عادت الى الظهور في مملكة بنى نصر المرابطين ، فكان « أبو عبد الله ابن الحكيم » اول من حمل اللقب في هذه المملكة ، ثم تلاه حاملا نفس اللقب « لسان الدين ابن الخطيب » . راجع : لسان الدين ابن الخطيب — للاستاذ عبد الله عنان ، ص 34 ، 106 ، 214 ( القاهرة 1968 ) . وكذا يوسف الاول ابن الاحمر ، للمحقق ، ص 43 ( القاهرة 1969 ) .

(125) يعنى بهذه النكبة الانقلاب الذى اودى بحياة صديق المترجم له الوزير ابن الحكيم ، على نحو ما اسلفنا في التعليق .

ومن ذلك في وصف :

## 90 - أبى عبد الله بن هانى السبتي (126)

علم تشير اليه الاكف ، وتعمل الى لقاءه الحوافر والخف ، عمر  
الربيع ببلده سبته وقد قضت الرحال ، وأقام درس العلم وقد حالت  
الحال ، وجاد بالوابل السجم عندما عظم الامحال . ورفع للعربية  
راية لا تتأخر ، ومرج منها لجة تزخر . فانفسح مجال درسه ، وأثمرت  
أدواح غرسه . فركض في تلك الميادين ومرح ، ودون وشرح . وجلى  
المشكلات ، وداوى المعضلات الى شمائل تملك الظرف زمامها ، ونادرة  
راشت الدعابة سهامها .

ولما أخذ المسلمون في مناوشة الجبل وحصاره ، وأصابوا الكفر  
منه بجارحة ابصاره ، ورموا بالثكل فيه نازح امصاره - كان ممن  
انتدب وتطوع ، وسمع النداء فاهط . ( 112 . ب ) فلأزمه حتى نفذ  
لااله القوت ، وبلغ من فتحه الاجل الموقوت . فأقام الصلاة بمحرابه  
وحياه ، وقد غير محياه طول اغترابه ، وبادره الطاغية قبل أن يستقر  
نصل الاسلام في قرابه ، أو يعلق أصل الدين في ترابه . وانتدب - رحمه

---

126) هو الشيخ الفقيه الاديب أبو عبد الله محمد بن هانى اللخمي السبتي ، أحد  
المبرزين من علماء الاندلس في العربية ، وله المؤلفات الهامة في علوم الدين  
والادب ، منها : شرح « التسهيل لابن مالك » ، وكتاب « الغرة الطالعة »  
في شعراء المائة السابعة ، و « انشاد الضوال ، وارشاد السؤال » ،  
وهو يتناول لحن العامة ، كما دون ترسيل أبى الطرف بن عميرة ، وجعله في  
سفرين . وقد توفي - رحمه الله - شهيدا في حصار جبل طارق عام 733 =  
1333 م ، ورثاه الشعراء بقصائد مؤثرة ، فذكر منها قصيدة الشاعر أبى  
بكر بن شيرين التي يقول فيها :

قد كان ما قال البريد . فاصبر فحزنك لا يفيسد  
أودى أبى الرضى فامتدنى للثكل هيند  
راجع : النبوغ المغربي - للاستاذ عبد الله كهنون ، ص 210 - 211 .

الله — الى الحصار وتبرع ، ودعاه أجله فلبى وأسرع . ولما هدر عليه الضيق ، وركعت الى قبلته المجانيق — أصيب بحجر حوم عليه كالجارح المحلق ، وانقض اليه انقضاux البارق المتألق . فاقتنصه واختطفه ، وعمد الى زهرة فقطفه . فمضى الى الله طلوع نيته ، وصحبه غرابه المنازع حتى في منيته .

وكان له أردب قاعد عن مداه ، وقاصر في جانب العلم الذي شمله وارتهده .

ومن ذلك في وصف :

## 91 — أبى الحسن بن تداوت

درة تحلى بها الدهر العاطل ، وعدة أنجزها الزمان الهاطل . وغرة أطلعها العصر البهيم ، وفائدة أنجبها الدهر العقيم . ما شئت من خلق تدل على الكمال مخائله ، ومجد كرمته أواخره وأوائله ، وأدب تجلت عذاراه وتبرجت عقائله . فاذا تناول ( 113 . أ ) القاع ووشاها ، وغشى الطروس من خلل بيانه فما عشاها — ودت الجرود أن تتمثل طرسا ، والجنون السود أن تكون لها نفسا .

ورد أبوه — رحمه الله — على البلاد الاندلسية ، فرحبت بمقدمه عليها ، وجلت افادة وفادته لديها . ففادت بها ظلال معارفه التي اغترس ، ودرس فيها علم الاصول بعدما درس . وتصرف في القضاء ، تصرف العدالة والمضاء . ونشأ ابنه هذا كريم النشأة والبداية ، وكنوفا بظل العناية . وتصرف في القضاء على حداثة سنه وغضارة عوده ، وقرب العهد بتألق سعوده .

ثم حث ركاب ارتحاله ، وبادر حزمه بحل عقاله ، فسعد سعادة شبيهة القمر عند انتقاله . وهو الآن بدولة المغرب — أيده الله — جملة

من جمل الكمال ، ومظنة للكمال . تغرى بثنائيه الاسن ، ويروى من أحاديثه ما يصح ويحسن . وورد على هذه البلاد ورود الكرى على مقلة الساهر ، واحتلها احتلال النسيم بين الازاهر . وجمعتى واياه بعض الاسفار ، فى غزوات الكفار . ( 113 . ب ) فاجتنتيت منه الفوائد بين فرادى ومثنى ، واجتلتيت منه المحاسن حسا ومعنى .

وقد أثبت من آدابه ما يستعير النسيم العاطر عرفه ، ويحسد الروض حسنه وظرفه .

ومن ذلك فى وصف :

## 92 - القاضى أبى الحجاج الطرطوشى

روض أدب لا تعرف الذرى أزهاره ، ومجموع فضل لا تخفى آثاره . كان - رحمه الله - صدرا من صدور زمانه ، وممن نزهى المهارق (127) بجمانه ، وتتجلى لباتها بقلائد عقيانه الى ظرف يستهوى النفوس ويستميلها ، وفكاهة تهز أعطاف الوقار وتميلها ، ودعابة تركض أفراس الطرب وتجيلها . ومعرفة فسيحة المدى ، انتشح بفضلها وارتنى ، وغبر فى وجه من راح أو غدا .

وكان فى فنون الأدب مطلق الاعنة ، وفى مغازيه ماضى الطبيا والاسنة . فان هزل - والى تلك الطريقة اعتزل - أبرم فى الغزل ما غزل ، وبذل من دنان راحه (128) ما بذل . وان صرف الى المغرب غرب لسانه ، وأعاره لمحة من لمحات احسانه - أطاعه عاصيه ، واستجمعت لديه أقاصيه .

---

(127) المهارق : بفتح الميم وكسر الراء ، ج مهرق بضم الميم وفتح الراء ، وهى الصحيفة ، كما تطلق على ثوب من الحرير ابيض يسقى الصمغ ويصقل ، ثم يكتب فيه ، كذا فى القاموس واللسان ، وكلا المعنيين مناسب .

(128) دنان راحه : بكسر الدال أوعية خرة ، والمفرد : دن ، بفتح الدال وتشديد النون .

( 114 . أ ) ورد على الحضرة الاندلسية (129) والدنيا شابة ،  
وريح القبول هابة . فكتب عن سلطانها واجتلى محاسن أوطانها ، ومدح  
بعض أملاكها ، وعشى الى نور أفلاكها . ثم كر الى وطنه وعطف ، وأسرع  
للحاق بجوه كالبارق اذا خطف ، فورد من العناية الحياض الفاهمة (130)  
والنطف ، وحل رياض الكرامة فهصر ما شاء وقطف . وتصرف في القضاء  
بذلك الريف سالكا من الادب سننه الطريف ، ومنزعه الظريف .

وتوفى - على هذا العهد - عن سن عالية ، وبرود من العمر بالية .  
وقد حلب أشطر الدهر وأخلافه (131) وارترض سلافه ، حتى أمر عنده  
من العيش كل عذب الجنا ، وبدل من الشطط بالجنا . وبلغ من المقام  
لهذه الدار حده ، والبقاء لله وحده .

ومن ذلك في وصف :

### 93 - أبى العباس بن شعيب (132)

مورد ترده البهيم فتروى ، وتهوى اليه النفوس فتجد عنده ما  
تهوى . وصدر لا يخفى مكانه ، وذخر أضاعه زمانه . ( 114 . ب ) حاز  
من كل فن نصيبا ، ورمى الى كل غرض سهما مصيبا . واستمطر كل

(129) يعنى بالحضرة الاندلسية على عصره « فرناطة » .

(130) الحياض الفاهمة : الممتلئة .

(131) التعبير كناية عن أنه خير الدهر وجريه .

(132) هو الكاتب الشاعر أبو العباس أحمد بن شعيب الجزائى الفاسى . من

حفظة الشعر وتقدته ، ومن جمعوا بين ملكة الشعر والنثر بالاضافة الى

جودة الخط . عمل كاتباً في ديوان الإنشاء لدى السلطان أبى الحسن المرينى .

وقهر عنه - مع ذلك - معرفته بالطب والكيمياء وعلم النبات . توفى بتونس

يوم عيد الاضحى من عام 749 هـ ( مارس 1349 م ) .

راجع : المصدر السابق ، ص : 227 .

عارض وديمه ، من العلوم الحديثة والقديمة فبرع في فنونها وبهر ، وحذق الطب منها ومهر . وبلغ في صنعة النبات درجة الاثبات . ورضى بالانتماء الى العلم والانتساب ، من الاكتساب . فما أهمه الدهر بالوانه ، ولائناه عن شأنه . وعانى في حركاته وانتقاله ، مشقة اعتقاله ، وخلص خلوص الحسام بعد صقاله . وهو — الآن — من كتاب ملك المغرب (133) تطوى عليه الخناصر اذا عدوا ، وتدخر لقصب السبق اذا أحصروا واشتدوا .

ورد على الحضرة في خدمة لبعض الولاة تولاهما ، ووجهة فرى لها الفلا وفراها . فرأيته رؤية لم تنهض للمحاورة والكلام ، والمخاطبة لما يجب لمثله من الاعلام ، لجمود هذا الباعث عندي في العهد المتقدم (134) ولم ألبث أن عضت يد المتقدم ، أسفا على ما ضاع من لقاؤه ، واجتلاء الفوائد من تلقائه .

وله شعر تهوى الشعرى أن تتخذة شنفا (135) ( 115 . أ ) ، ونثر تود النشوة لو تتحلى به وان شمخت أنفا . من ذلك ما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صفوان ، وقد رمى اليه بقاصية هواه ، واعتده في رحلته أنفس ذخـر حـواه .

---

(133) السلطان ابو الحسن المريني ، كما ذكرنا ( 731 — 752 هـ ) .

(134) يشير ابن الخطيب بهذا الى فترة شبابه بالاندلس ، حينما كان وزيرا لملك غرناطة أبا الحجاج يوسف الاول ( 733 — 755 هـ / 1333 — 1354 م ) المعاصرة لملك المغرب يومئذ ( أبا الحسن المريني ) ، ونستنتج من اشارة ابن الخطيب هذه الى أن تاريخه لهؤلاء المترجم لهم — في هذا الكتاب — كان بعد نزوحه للمغرب نهائيا .

(135) الشنف . بتشديد الشين مع الفتح واسكان النون ، وهو : ما يعلق في الاذن أو أعلاها من حلى عند النساء ، والجمع : شنوف ، واشناف .

ومن ذلك في وصف :

#### 94 - « الكاتب أبي عبد الله بن عمر التونسي »

كاتب الخلافة ، ومشعشع الادب المزرى بالسلافة . كان - رحمه الله - بطل مجال ، ورب روية وارتجال .

قدم على هذه البلاد (136) وقد نبا وطنه ، وضاق - ببعض الحوادث - عطنه . فتلوم بها تلوم النسيم بين الخمائيل ، وحل فيها محل الطيب من الوشاح الجائل . ولبث - مدة اقامته - تحت جراية واسعة ، وميرة يانعة . ثم آثر قطره (137) فولى وجهه سطره . واستقبله دهره بالانابة ، وقلده رياسة الكتابة . فاستقامت حاله ، وحطت رحاله . حدثني بعض من عنى بأخباره ، أيام مقامه برية واستقراره . أنه لقي بباب الملعب ذات ليلة - ظبية من ظباء الانس ، وفتنة من فتن ( 115 . ب ) هذا الجنس . فخطب وصالها ، واتقى بمهجته نضالها . حتى همت بالانقياد ، وانعطفت انعطاف الغصن المياد . فأبقى على نفسه وأمسك ، وأنف من خلع العذار بعدما تنسك .

ومن ذلك في وصف :

#### 95 - « أبي عبد الملك » (138)

##### من أهل مراكش

وقور أفرط حتى أثقل ، وقريع مجد مسه الاحتياج فتقل ، ووجد الجميم فعافه وتبقل . وحل من بلده مراكش لما جف حوضه ، وصوح

(136) هذه البلاد : يعنى بها الاندلس .

(137) قطره : يعنى به تونس .

(138) مراكش ; عاصمة المرابطين والموحدين بجنوب المغرب ، أسسها زعيم الاولين واعظهم يوسف بن تاشفين عام 454 هـ ( 1062 م ) وبنى بها مسجده

روضه . واتخذ رية دارا ، واختارها قرارا . وجرت عليه جراية تبلغ بها ، وارتعد بسببها ، رعيا لابييه ، واحتراما لبيته النبيه . فقد كان أبوه — رحمه الله — قاضيها صدرا في عصره ، وبدرا في هالة قطره . رحب المجال نسيح وحده معرفة بطرق الحديث وأسماء الرجال . متجرا في علوم الآداب ، منتدبا لاقامة رسم المعارف كل الانتداب .

وابنه هذا متمسك من الآداب بأذيالها ، مغرى بإدارة جريالها . الى سرو عميم (139) ، ووفاء يثنى كل صديق ( 116 . أ ) له حميم . ولما تقلدت بهذه البلاد تنفيذ أرزاق الاجناد بادرت الى تقديم واجبه ، وايثار جانبه .

ومن ذلك في وصف :

## 96 — أبى اسحاق الحسانى من أهل تونس

شاعر لا ينضب طبعه ، ولا يقفر ربه . قصد الملوك وانتجع ،

---

المعروف باسم « جامع يوسف » ولما جاء المرينيون تحولوا عنها الى « فاس » واتخذوها حاضرة لهم ، فنقدت مراكش من ذلك الحين مركزها السياسى . وقد شيد بها الموحدون جامع الكتبية بمنارته الشهيرة ، وبمراكش من آثار السعديين مقابرهم العظيمة ، وللعلويين بها جنان أجدال ، التى أنشأها عبد الرحمن بن هشام العلوى . وبالمدينة ضريح القاضى عياض ، وأبو العباس السبتي ، وأبو القاسم السهلى ، ومحمد بن سليمان الجزولى . تشتهر مراكش بصناعة الجلد والصبغة والنحاس ، والمنسوجات الوطنية ، والزرايى . وخارجها مزارع الزيتون ، وواحات النخيل الشاسعة ، تحوطها جبال الاطلس التى تكسوها الثلوج شتاء .

راجع : البغدادى فى « مرصد الاطلاع ، على أسماء الامكنة والبقاع » ج 3 ، ص 1251 .

(139) سرو عميم : شرف شامل .

وهذل فى أفنان أمداحها وسجع . وتجرأ على اقتحام دسوتها (140) ،  
 وولوج بيوتها . وقدم على هذه البلاد فأعجب الأدباء باكثره ، وانقياد  
 نظامه ونثاره ، وتنوزع فى ايثاره . ثم استرسل طوع لذاته ، وسعى فى  
 جلب المكروه الى ذاته . ونمى عنه قيل وقال ، ناله به اعتقال . ثم  
 تكرر على هذه البلاد وقد تبدلت تلك الدولة ، وضمدت تلك الصولة .  
 فتلقى باقبال ، وهبت له ريح اهتبال . ثم حركة الشوق الى بلده ، وبلغ  
 نواه الى أمده .  
 وقد أثبت من شعره ما يدل على استرسال لهواته ، واقتداره على  
 الكلام من جميع جهاته .

ومن ذلك فى وصف :

### 97 - أبى عبد الله المكودى (141) من أهل فاس

( 116 . ب ) شاعر لا يتعاطى ميدانه ، ومرعى بيان رف غضاه  
 وأينع سعدانه . يدعو الكلام فيهطع لداعيه (142) ، ويسعى فى اجتلاب

140) دسوتها : يعنى بها صدور المجالس . والمفرد منه دست ، بفتح فسكون ،  
 والكلمة أصلا فارسية ولها عدة معان أخرى ، منها صدر البيت ، والوسادة  
 والمرجل الكبير من النحاس ، وغير ذلك . كذا فى القاموس المحيط .

141) هو الأديب الشاعر محمد بن عبد الرحمن المكودى الفاسى ، يكنى أبى عبد  
 الله ، والنسبة الى بنى مكود ، قبيلة من الهوارة التى كانت تقطن بين فاس  
 وتازة ، ثم استقرت أسرة المترجم له فى فاس ، فعرفت من بين بيوتها العريقة  
 بالعلم والفضل ، ويعد أبو عبد الله هذا من شعراء عصره المبدعين ، وممن  
 عرفوا بدقة تصوير العواطف النفسية ، وجودة التعبير عنها ، حتى كان  
 لشعره وقع جميل فى قلوب سامعيه . توفى - رحمه الله - عام 753 هـ .

راجع : الأستاذ عبد الله كنون فى « النبوغ المغربى » ص : 227 - 228 .

142) يهطع لداعيه : يسرع اليه مقبلا ، والمصدر منه : هطعا ، بفتح فسكون ،  
 وهطوعا بالضم .

المعاني ، ففتجح مساعيه . غير أنه أفرط في الانهماك ، وهوى الى بطن السمكة من أوج السماك .

قدم على هذه البلاد مفلتا من رهق تلمسان حين الحصار (143) ، صفر اليمين واليسار من اليسار فل هوى انحنى على طريقه وتلاده ، وأخرجه من بلاده . ولما جد به البين ، وحل هذه الحضرة بحال تقتحمها العين ، والسيف بهزته ، لا بحسن بزته - دعواناه الى مجلس أعار البدر هالته ، وخلع عليه الاصيل غلالته . وروض تفتح كاماه ، وهوى عليه غمامه . وكأس أنس تدور ، ففتلقى نجومها البدور .

ولما ذهبت المؤانسة لخلجه ، وتذاكر هواه ، ويوم نواه ، حتى خفنا حلول أجله - جذبنا للمذاكرة زمامه ، واستسقيننا منها غمامه . فأممتع واحسب ، ونظر ونسب . وتكلم في المسائل وحاضر بطرف الابيات وعيون الرسائل . حتى نشر الصباح رايته . وأطلع النهار آيتيه .

ومن ذلك في وصف :

## 98 - الادبية أم الحسين بنت أحمد الطنجالي نزيلة لوشة

ثالثة حمدلة وولادة ، وفاضلة جمعت الادب والمجادة ، وتقلدت المحاسن قبل القلادة ، وأولدت أبارك الافكار قبل سن الولادة . نشأة

---

(143) تذكر المؤرخات في صدد هذا الحصار ، أن ابا تاشفين عبد الرحمن بن موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيان كان آخر من تولى الملك من بنى زيان في تلمسان عام 718 هـ ، ثم نشب خلاف بينه وبين السلطان ابي عنان ملك المغرب الذي هب لمنازلته ، وحاصره ثلاث سنوات ، بعدها استولى ابو عنان على المدينة ، وذلك ليلة 27 من شهر رمضان 737 هـ ( 29 أبريل 1337 م ) . راجع : « كراسة الدكان ، بعد انتقال السكان » لابن الخطيب بتحقيقنا ، ص : 57 وما بعدها ( القاهرة 1968 م ) .

أبيها لا يدخر عنها تدريجا ولا تنبيها ، حتى نبض ادراكها ، وظهر فى المعارف حراكها . ودرسها الطب ففهمت أعراضه ، وعلمت أسبابه وأعراضه . ولم يزل يتعهدا بالتعليم والتخرج ، وينقلها بحسن التدرج ، حتى نظمت الكلم ، وداوت بالسبك المعنى الالم .

ولما قدم أبوها من المغرب ، وتكلم بخبرها المغرب ، توجه بعض الصدور الى اختيارها ، ومطالعة أخبارها . فاستحسن أعراضها واستحسنها واستظرف لسنها . وسألها عن الخط - وهو أكسد بضاعة جلبت - فأنشدته من نظمها ما ثبت فى التاج ( المحلى ، فى مساجلة القدح المعلى ) ( 144 ) .

---

144) التاج المحلى : احد مؤلفات لسان الدين ابن الخطيب ، وهو عبارة عن تراجم لاعيان الاندلس فى منتصف القرن الثامن الهجرى ، وتنويه بمملكة بنى الاحمر منذ نشأتها حتى عصر المؤلف . وقد اعتمد المقرئ على هذا الكتاب فى كثير من التراجم التى أوردها فى كتابه « نفع الطيب » . وتوجد « للتاج المحلى » نسخة مخطوطة ضمن مخطوط ضخم بالاسكوريال بمديرىد تحت رقم : ( 554 الغزيرى ) .

راجع : البحث المنشور للمحقق فى مجلة « تراث الانسانى » ، بعنوان : « معيار الاختيار لابن الخطيب » ، المجلد الرابع - العدد 4 ( ابريل 1966 ) لصادرة من وزارة الثقافة بالقاهرة .